جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مجموعتى: خيمة المحبة السعودية وتحديق فى الفراغ المغربية
ـ دراسة موازنة

إعداد الدكتور

ماهر أحمد محمد أحمد الملاح

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد
فى كلية اللغة العربية بأسيوط

العدد التاسع عشر
للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م

الترقيم الدولى : ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نمت القصة القصيرة وتطورت فى الأقطار العربية تطوراً كبيراً؛ لأنها تناسب سرعة العصر فمثَّلت لمحات خاطفة يتناول من خلالها الكاتب ما يعنُّ له من أفكار ويصوِّر ما يريد من موضوعات ، فكثرت لكثرة أماكن نشرها من الدوريات أو المجموعات وهذه الكثرة الكاثرة من فن القصة القصيرة تحتاج إلى النقد الذى يرصد حركة القصة ويتابع نتاجها ، وإذا حدث ذلك بالتركيز على قطرين فإنما يكون أكثر إفادة وثراءً للدراسة ؛ ليكون النقد الذى يقتن لهذا اللون الأدبى من ناحية الموازنة التى توضح وجوه الاتفاق أو الاختلاف ومواطن الجودة والإخفاق إذا وجدت ، ولم لى من قراءات متعددة فى مجال القصة القصيرة اتضح لى أن القصة فى السعودية اهتمت برسالة التنوير والتوجيه المجتمعى من الناحية الموضوعية فقد كان المجتمع بملامحه هو المادة القصصية التى دارت حولها معظم القصص ، بجوار قضايا عامة وتصوير للوطن وما يشعر به الكاتب تجاهه واستعانت بالطرق الفنية فى البناء وصور التتابع .

فى حين كانت القصة المغربية راصدة للواقع المعيش فى المغرب تصور كذلك قضايا المجتمع وملامحه من ناحية البطالة والفقر وبعض السلبيات، وكان صوت الكاتب يمثل ناقوساً يدق لينذر بالخطر ويدعو إلى تلافى أسبابه ، هذا وإن تجاوز الحد فى النقد والوقوف أمام بعض الأمور والتعبير عنها عن طريق الإيحاء ، وألمت القصة المغربية بالطرق الحديثة فى البناء لقربها من الثقافة الغربية وخاصة فرنسا وأسبانيا . ولذا وجدناها تقتفى أثر القصة القصيرة عند الغرب.

وبذا تصبح الدراسة ثرية ومفيدة إذا استطاعت أن توضح وجوه التلاقى والاختلاف بين القصة القصيرة السعودية والقصة القصيرة المغربية، ولما كان من الصعب بل من المستحيل متابعة كل القصص السعودية والمغربية اكتفيت بمجموعتى : (خيمة المحبة) السعودية و(تحديق فى الفراغ) المغربية .

لعلى أصل بالدراسة إلى نتيجة واضحة تضيف إلى المكتبة العربية جديداً فى هذا المجال ، ولا سيما أن هذه الدراسة لم يتعرض لها أحد من قبل ، والله ولى التوفيق .

الباحث

التعريف بالكاتبين :

نرى أن الكاتبين تجمعهما وجوه شبه .

محمد منصور ربيع المدخلى الكاتب السعودى [معيد[١] فى فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالجنوب ــ أبها .

له مشاركات عديدة فى الثقافة والأدب والخطابة .

ـــــ ويكتب فى الصحافة السعودية .

ـــــ عضو نادى جازان الأدبى .

ـــــ عضو نادى أبها الأدبى ، وأمين لجنة القصة به) .

ـــــ له إبداعات شعرية مثل : (جازان فى عيون الشعراء) .

ومجموعات قصصية منها : (خيمة المحبة) محل الدراسة ومجموعة : (عروس القرية) .

ـــــ وله كتاب : (فى النقد والشعر والقصة والمقالة) .

ـــــ دراسة عن مفهوم التربية وكتب أخرى] [٢] .

قالوا عنه : (محمد المدخلى من كتاب القصة القصيرة الشباب المجيدين ، تنبأت له بشأن كبير فى عالم القصة القصيرة) [٣] .

وكذلك : (ومن الواضح ــ كما يبدو من القصة ــ أن كاتبها متمرس بهذا الفن المراوغ يعى تقنياتها ويمتلك أدواتها) [٤] .

---

(١) كان ذلك وقت كتابة المجموعة .

(٢) محمدين محمدين يوسف (دكتور) فى : (قراءة نقدية تحليلية لنماذج من القصة السعودية فى جازان) ، ط دار العلم للطباعة والنشر . المملكة العربية السعودية سنة ١٢٩٥هـ ، ص٩.

(٣) محمود الحسينى (دكتور) صحيفة : (الندوة) الملحق الأدبى الأحد ٢ من ربيع الأول ١٤١٠هـ .

(٤) محمود الحسينى (دكتور) فى :(صحيفة المدينة) فى الأربعاء ١٤ من رجب ١٤٠٨هـ .

أما مهدى لعرج الكاتب المغربى (فقد ولد (بتازة) فى المغرب، حصل على شهادة الإجازة فى الأدب العربى من كلية الآداب (بوجدة) ١٩٩٠، وحصل على شهادة الأهلية للتعليم الثانوى من المدرسة العليا للأساتذة بالرباط ، ثم التحق من تلك السنة بسلك التدريس أستاذاً للتعليم الثانوى، وتدرج حتى حصل على دكتوراه الدولة من كلية الآداب بالرباط له مؤلفات عديدة منها : (عودة الخريف) شعر ، ومجموعة : (تحديق فى الفراغ) محل الدراسة و (مجموعة من النصوص الشعرية والقصصية ، ودراسات نقدية منها : (الرواية والصدق) و (شعرية البوح) و(النص والقارئ) وغيرها ، نال جائزة ناجى نعمان الأدبية ٢٠٠٦)[١] .

وعلى ذلك اتحد الكاتبان فى مجال التعليم والإبداع .

(١) موقع : (القصة السورية) جوجل .

أولاً : صورة المجتمع فى القصة القصيرة السعودية :

الكاتب فى تناوله لصورة المجتمع (لا يصنع مجرد حدث عارض أو يختلق مجرد مجموعة متتالية من الأحداث ، ولكنه يصنع عالماً من البشر يشابه ذلك العالم الحقيقى الذى نعيشه فى الواقع) (١) .

ومن خلال مجموعة : (خيمة المحبة)(٢) يمكننا أن نرى المجتمع السعودى بكل ألوانه وإيجابياته وسلبياته وأفراحه وأتراحه لأن الكاتب كان عدسة متنقلة كثيرة اللقطات سريعة التصوير فلم يترك جانباً إلا سلط عليه الضوء واهتم به فى التناول القصصى ، وتمثلت ملامح المجتمع فى :

١ـ الأسرة :

(الأسرة وحدة المجتمع ، وأساسه الأول ، وهى قديمة قدم الإنسانية) (٣) وقد حظيت باهتمام الكاتب فى مجموعة : (خيمة المحبة) وصورها من خلال عدة زوايا استطاع أن يرصد فيها العديد من الرؤى .

من ذلك : عدم تزويج البنت طمعاً فى راتبها ويمثل هذا قصتا : (الانتظار الطويل) (٤) ، و (أوراق الربيع) (٥) ففى (الانتظار الطويل) يصور الكاتب معاناة الفتاة فى حياة لا يبرق فيها الأمل (الشوق يبحر فى النفوس الناعمة ،

---

(١) فتحى سلامى فى : (تطور الفكر الاجتماعى فى الرواية العربية) ط دار الفكر العربى طبعة أولى ١٩٨٠م ص ١٠٨ .
(٢) محمد منصور ربيع المدخلى : مجموعة : (خيمة المحبة) ط دار العلم بجدة المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٧هـ .
(٣) أحمد محمد الحوفى (دكتور) : (أضواء على الأدب الحديث) ط دار المعارف بمصر طبعة أولى ١٩٨١م ص١٣٧
(٤) مجموعة (خيمة المحبة) ص ١٩ .
(٥) السابق ص ٢٢ .

والقلب أضناه التفكير والسفر ، ويطول الإبحار بلا مجداف أو دليل)[١] وهذه المقدمة ترتبط بمضمون القصة حيث الرغبة فى تحقيق حق البنت فى الزواج ، ولكن عندما لا يتحقق ذلك تصاب بالمعاناة وتصبح الحياة بلا معنى وخاصة عند اليأس من الوصول إلى هدفها فى الحياة .

ويأتى التساؤل : (وأى قدوم انتظر .... ؟ المجئ وقدوم فارس مغوار؟) وهذا يعكس اليأس من تحقيق أمنية الفتاة بل واستحالة ذلك .

ويسوق الكاتب بعد ذلك السبب (تقوست الأشياء أمام الأب العتيق... حدق كثيراً ..... كبرت أوداجه نبرة صوت رهيب يأتى ..... فى زمن الصمت والخوف) إنه الأب الذى يقف عائقاً أمام زواج ابنته ، بل غضبه وثورته عندما يلوح تحقيق هذا الزواج ، يحتج بصوته العالى الذى يرهب ويشيع الخوف ، ولا تملك أمامه البنت إلا الصمت التى يحمل فى طياته الحزن .

ويكون دافعه (الراتب) (نظر ملياً .... وهى تقتطف بعض "مرتبها الشهرى " !! ثم قالت حينها لا.... لا شئ يا أبى .... الصمت دموع غزيرة مسكوبة والخوف ليل بهيم قلق ورعب .... المجهول والاغتراب الطويل) .

ولا شك أنه ينقل آهات الألم المكتومة ضن (الخواص التى يعتمد عليها كاتب القصة القصيرة : اللمسة الإنسانية ذات المغزى الاجتماعى الصامت)[٢] .

إن الرفض بسبب الراتب ، وهى لا تستطيع الدفاع عن حقها وتكتم خوفها وتصبح الحياة أمامها مجهولة يضيع فيها الأمل وتعانى الغربة .

---

(١) قصة (الانتظار الطويل) مجموعة (خمية المحبة) ص ١٩ .
(٢) محمد عبد الحليم عبد الله فى : (الوجه الآخر) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م ص١٣ .

وتبقى تحت رحمة هذا الأب فى محطة الانتظار بينما غيرها تتحقق لهم الحياة الطبيعية ويتزوجون (وهى ما زالت فى محطة الانتظار ، بينما جيل معاصر يسبح فى بحور الأحلام .... والأقدام تلتهم المسافات الطويلة).

وبهذا لا تجد البنت أمام مشكلتها إلا أن تعيش الحياة تنتظر وغيرها بنعم بالحياة وانتظارها لا ينبئ بنقطة وصول وإنما هى حياة بلا هدف ولا معنى مجرد (مسافات طويلة) ليست لها أفق أو نهاية .

أما القصة الثانية : (أوراق الربيع) [١] وفيها كان الكاتب أكثر جرأة وأكثر وضوحاً فى تصوير هذه المشكلة الأسرية ونلمح ذلك فى قوله : (إنها فى عنفوان الشباب .... ليالى سارة تسر (سارة) وتحمل معها الفل الأبيض والربيع الزاهر وأفياءه الوارفة) فيشير صراحة إلى نضج الفتاة واستعدادها لبناء أسرة لشبابها المونق النضر، ولعل ذكر الكاتب للفل الأبيض اقتران بالزواج وفستانه الأبيض .

فالكلمات إيحائية شاعرية وتتطلب (القراءة الشاعرية التى تسعى إلى كشف ما هو فى باطن النفس) [٢] .

وفى تصويره للعقبة أمام البنت (وأهل القوامة ساهون .... لا يفكرون .... وربما لا يرحمون الأنفس الصامتة) وما أهل القوامة إلا الآباء ويقترب أكثر فنرى (هكذا حدثه وهو يفسر له رفض خطوبته من "سارة" والكلمات تقف مشدوهة على وجوه الآخرين) فالأب يرفض الزواج ممن تقدم لابنته وهذا يثير التساؤل والدهشة .

---

(١) مجموعة (خيمة المحبة) مصدر سابق ص ٢٢ .
(٢) صابر عبد الدايم يونس (دكتور) فى : (شعراء وتجارب نحو منهج تكاملى فى النقد التطبيقى) ط دار الوفاء لدنيا الطباعة ٢٠٠٠ م ص ٢٠١ .

ويكون السبب ظلماً (العمر المنهوك يبتاع حلماً والابتسامة على الشفاة .... ونحيب فى القلوب) فالأب الذى عاش حياته ومضى عمره يأخذ من شباب ابنته وأحلامها ، والبنت تقابل ذلك بابتسامة تخفى وراءها صراخاُ مكتوماً فى القلب

والأب لا يهمه إلا (إيجار الشقة ينتظر الأب .... ومصاريف الشهر) وأمام الطمع فى راتبها الذى يدبر به الأب شئون حياته تضيع الفتاة وتضيع أحلامها ، ولقد أجاد الكاتب فى رسم الشخصية الرئيسة ممثلة فى هذه البنت .

غلاء المهور

ويلاحق الكاتب الأسرة فى قصص مجموعة (خيمة المحبة) فنرى عائقاً آخر أمام زواج الشباب يحول دون تحقيق أحلامهم فى تكوين أسرة وحياة مستقرة ، وهذا العائق هو : مشكلة غلاء المهور كما فى قصة : (القرار وأفراح العمر)[١].

الكاتب يصور ضيق الشباب من عدم قدرتهم على المهور الكبيرة، ولجوء بعضهم إلى الهروب والسفر خارج الوطن لعله يظفر بما حرم منه فى بلده (صاح بشدة ..... نبرة عالية ..... " الجواز " لا " الزواج " ..... تأتى تخترق الصوت اهتز المنزل .... أين هو ؟ أين .... ؟ ..... إنه مع أبيك).

ووضع كلمة الجواز ونفى الزواج هو توافق صوتى يوضح الفارق بين الأولى فى الهروب والثانية فى الإقبال على الحياة .

وهروب الشاب ليس لأنه يرغب فى ذلك بل لأنه مجبر وهو ضائق

(١) مجموع خيمة المحبة ص٢٤ .

بالهروب والسفر (قضى ليلة حزينة ... التحديق يطول ... والتفكير أطول... أرق وسهد قرب ثم بعد) والكاتب يوضح ما يراود أحلام الشباب فالأمل يقترب فى التفكير ويبتعد بالواقع المعيش ، والحياة تمضى والعمر يتقدم (خطا خطوتين ... المرآة تكشف الحقيقة ... شعيرات بيضاء تغزو رأسه وقف طويلاً ... تذكر حينها عبارة أحد التلاميذ " لماذا لا تتزوج يا أستاذ عبد الرحمن ؟ ") .

هو يقلب الفكر ويحاول وعلامات الاستفهام فى عدم زواجه تقلقه وتؤلمه، عندها لم يجد حلاً لمشكلته ولم يجد سبيلاً إلا الهروب والسفر ويستجيب لكلام أحد أصدقائه (تذكر للمرة الثانية عبارة صديقة " البلاد الأخرى جنة الدنيا ... اغتنم شبابك أسرع لا يضيع ") .

فاستجاب عبد الرحمن واستسلم لعبارة صديقه (المطار يئن بالمسافرين مراقب السفر يعلق على موعد إقلاع الرحلة) ولكن الكاتب لا يجعل الهروب هو الحل بل يجعل شخصية القصة وهى تتحرك للمغادرة تصاف ما يجعلها تعود (أين بوابة رقم (٣٧) تلك هى بعد الإشارة) وفى هذا الوقت وهذه الساعة (طفل يتعثر فى رجله ، بسرعة أخذه قبلّه ومضى ، حينها سأل نفسه لماذا لا اقترن بامرأة لعلها تأتى بمثله يحمل اسمى مستقبلاً) .

وعلى الرغم من ملاحقة عوائق الزواج لتفكيره (عفواً تذكر غلاء المهور) فالحنين يشده إلى مجتمعه . وتكون العودة لعل الله يفرج الضيق ويتحقق الأمل .

الزواج المتعدد :

ويعالج الكاتب بعض سلبيات الأسرة بعد ذلك فى الزواج المتعدد إذا ما

انحرف عن ما شرعه الإسلام من الرعاية والعدل بين الزوجات والأبناء، وهو ما رصده الكاتب فى مجموعته فى قصتى : (رحلة الحنان)[١] و : (أمحرومة هى..... ؟)[٢].

ففى القصة الأولى : بعد الزوجة الثانية تبدلت الحياة وغادرت السعادة الدار (لم تكن السعادة كما كانت ..... وكان للعمر أن يعيش ويعايش الظرف الجديد .... حياة جديدة تأتى تحمل الورد والزهر للبعض ..... وفى النفوس الأخر حزن وضجر) الأولى تحاول أن تتعايش مع الزواج الجديد، الذى إن أسعد البعض أحزن الآخر ، والزواج المتعدد المبالغ فيه منتقد إذا كان لغير سبب ولا سيما مع زوجة وابن (صاح الجيران : ما بال "صالح" كل يوم وهو يتزوج ويطلق) ، والزوجة الأولى تتألم (والعبارات تأتى سهاماً قوية فى أذنى " أم عبد الرحيم ") والجديدة تأخذ الاهتمام ويجبر الجميع على خدمتها حتى يعير الابن (الزملاء عيروه شتموه ألبسوه لقب "خادم الزوجة الجديدة") .

ويتخلى الأب عن دوره أمام الأولى وابنها (عندما تذَّكر العيد الماضى الذى نام وهو ينتظر الهدية ٠٠٠ وقد خرج الصباح إلى المصلى ينتعل حذاء ممزقاً ... وثوباً عتيقاً وقد بحث عن " طاقية الحنان" لعلها تحسسه ببعض الراحة والطمأنينة، وركب الهواء مسرعاً إلى زميله الذى يجد عنده بعض المفقود) .

لقد تخلى الأب عن مسئوليته ولم يتوخ العدل بين أبنائه ، ويظهر ذلك واضحاً فى قول الكاتب (إن زوجة أبى هى سيدة البيت وكل المواقف.... طفلها تدلله ... تذوقه طعم الحياة .... وأخيراً تتهمنى بضرب ابنها) وعند هذا الحد

(١) مجموعة : (خمية المحبة) ص ٥٠ .
(٢) السابق ص ٢٦ .

يكون الكاتب عالج هذه المشكلة ووضح مساوئها .

أما القصة الثانية : (أمحرومة هى .... ؟) [١] فتقف عند زاوية أخرى من الزواج المتعدد وهى هدم البيت الأول ببناء الزواج الجديد ، على الرغم من محاولة الأولى الاحتفاظ بزوجها (حدثها العاملون بأنها لا تقدر على إقناعه بالرجوع إليها وخصوصاً بعد زوجته الثانية التى عصرت لبه وشربته) .

وتكون بين بطر الزوج وكبرياء الأب الذى يعاند فى عودتها (تئن تحت عتبة بيت الأب العنيد وتندلع نيران الأسى على عمر فات ربيعه) ويمضى العمر بلا معنى تقاسى فيه الزوجة الأولى الوحدة والألم والتشاؤم (كلماتى لم تعد كلمات، ضحكاتى لم تعد ضحكات .... أحلامى تبقى رماداً ينفخه الحاسدون فى وجهى وآمالى أوراق صفراء منثورة فوق قبرى) وهذه قمة المآسى التى يمكن ان يجلبها الزواج المتعدد والتى تمثل القضاء على زوجة ليس لها ذنب إلا أن تزوج عليها زوجها وعلى الرغم من ذلك ترغب فى الاحتفاظ بزوجها وبيتها لكنها تعجز عن ذلك

وبذا كان الكاتب يريد تخليص المجتمع من هذه السلبيات (فالأدب لا يبقى على مر الزمن ولا يخلد فى حياة الناس إلا بقدر ما يتضمنه من نفع ينير لهم الطريق ويرقى بهم إلى مجتمع أفضل ، وحياة إنسانية أسمى وأكمل) [٢] وأنا أرى أن الكاتب قد فعل ذلك .

---

(١) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٢٦ .
(٢) طه ندا (دكتور) فى : (الأدب المقارن) ط دار المعارف ١٩٧٩م ص٢٠ .

الأبناء بين السلب والإيجاب :

وينتقل الكاتب من عالم مشكلات الزواج إلى تناول الأسرة من خلال الأبناء ويرصد بعض تصرفاتهم بين السلب والإيجاب ، ويتمثل النموذج السلبى من ناحيتين الأولى : (العقوق) والثانية إهدار جهد الوالدين وتعبهما فى سبيل نجاح الأبناء، والناحية الأولى تتمثل فى قصة : (رياح وأشرعة) [١] ويلتقط الكاتب خيوط قصته من خلال ما يرغب فيه بعض أفراد المجتمع العربى عامة والمجتمع السعودى خاصة وهو إنجاب الذكور من الأبناء وربما الزواج مجدداً إذ لم يتحقق وجود الذكور من الزواج الأول ، ويسوق قصته ليعالج هذه الفكرة، وفى الوقت نفسه للوقوف أمام تصرفات الأبناء (أحمد رزق بطفل بعد أربع بنات فرحة العمر تزف للأب .... إنه "عطية" بطاقة تحمل اسمه .الحلم توطن فى النفس وقد أضحى حقيقة ماثلة) الفرح الغامر فى إنجاب الذكر بعد أربع إناث ، الابن يكبر والأب يزوجه (الأب " أحمد " يحمل حلماً جديداً للابن .... زوجة أولى تتزين بأخلاق البادية) ولكن الابن لا يرضى بها مفردة (سنة سنتان زوجة ثانية تلج منزل "عطية") ولا يقف الأمر عند الزواج المتعدد ولكن عدم تحمل الحياة والملل وعدم الصبر الذى يمكن أن يجلبه والتمييز بين الأبناء لمجرد أنه ذكر ، ويكون عطية متقلب متبرم بالحياة (وظيفة أولى لم ترق له ، والأب توشح صبراً ورويه) والأمر لم يقف عند هذا الحد ولكن تخطاه إلى العقوق وتبدل أمل الأب فى التقوى بالذكر إلى الحسرة (انقلبت موازين الأحلام المتوقعة) وجاء العقوق وذلك عندما ينصح الأب ابنه ويكون رد الابن (حينما أجاب " عطية " حياتى وأنا حر فيها وأوصد باب العمارة...) وإذا كان الابن فى عمارة يغلق بابها فى وجه أبيه فإن الأب (قد توارى فى منزل قديم .... حديث الجيران يكثر .... " من يصدق أن " أحمد " .... ابنه الوحيد يتخلى عنه إنها عجائب العصر ") .

---

(١) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٥٨ .

وبذا تصاعد الأمر واشتهر بين الجيران وجاء الضرر والأذى فى مقابل الحب والرعاية، وجاء العقوق ممن أمل فيه الأب العون والمساعدة وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، ولكن يأتى التحكم فى الأب (ابنى لم يأت إلا لمصلحة تخصه .... أو لزمجرة تنهرنى عن الذهاب للآخرين) وتتوالى لفتات الكاتب إلى جوانب هذا العقوق فى حرمان أخواته من تركة الأب (وقد جمع كل ما يخص أبيه لنفسه فقط .... ولم ينصع لصيحات الورثة لقد ترك أباه يئن ويصرخ) ويصل العقوق قمته عندما يهدم بيت الأب التى يقيم فيه ليبنى عمارة مكانه ولم يستجب لنصح (اجتمع أهل الخير هذا أمر خطير.... تحرم الرجل من كل شئ حتى منزله العتيق خاف الله ، تعالى تأفف الابن كثيراً وقد وضع يده اليسرى على حافة شاربه الأيسر ، وأطلق إشارة البدء فى هدم البيت .... العمال أسرعوا .... أسرعوا الآلات تصطك صاحت "الدمنة" وأجاب الأب بصوت عال .... بيتى بيتى ... ذكرياتى .... وجوم.... وجوم ..... لم يجبه أحد .... سوى : أنت مجنون) .

إننا أمام مأساة حقيقية أمام هذا الأب الذى أمل فى الذكر الذى جاء بعد أربع إناث أن يكون عوناً له وقد فرح كثيراً بإنجابه فتسبب كثيراً فى حزنه وتعاسته إنها لحظة تلقى يبكل ثقلها على عقل القارئ ليعرف أن الخير ليس دائماً يرتبط بإنجاب الذكور .

وقد نجح الكاتب فى تصوير هذه الحياة لأنه (فى أحيان كثيرة تقوم القصة القصيرة بمحاكاة الحياة العادية القريبة من جو الأسرة) [١] .

(١) شاكر عبد الحميد (دكتور) فى : (الأسس النفسية للإبداع الأدبى) ط هيئة الكتاب المصرية ص١٩٩٢ ص ٢٣ .

أما الناحية الثانية فى تناول الكاتب للتصرف السلبى للأبناء فتمثله قصة : (الأمل الضائع) [١] التى تناقش حنان الأب على أولاده (إنه حنان الأبوة حينما تغلب على إشباع رغبته التى تمور به سنيناً طويلة فقد حمل فى حفيظة النفوس اسماً بعد أن أسكنه تحت جفون عينيه ، عمر مديد يقضيه فى دروب الحياة) ولا شك أن الكاتب يشير إلى إنجاب ابن حمل اسمه وكان حافزاً له على العمل والتعب والكفاح من أجل هذه الأسرة وتأميناً لمستقبل هذا الابن ... ويحاول أن يزيد دخل الأسرة (وما هى إلا أيام قليلة وقد حمل الأب رخصة قيادة .... ويمكنه أن يتجول فى الأسواق كما يروق له) ويكد ويكدح (وإن اشتكت منه إشارة المرور) فهو هانئ (فالابتسامة لا تفارق محياه) ويزوج ابنته (شموع مضيئة .... وليل جميل أهدى لابنته هدى فتى الأحلام) . وتسير الحياة ويحرص الأب على توفير التعليم لابنه (فرحان) (الأب ودع ابنه الوحيد ومضى حيث كان .... وبسرعة فائقة أثبت اسمه فى دفتر التوقيع .... شع نور من قلب الأب ومدنية المدينة مباينة للقرية وصعوبة المواصلات ، وأشياء أخرى تتعب " فرحان " فقد ودع إسكان الجامعة ... إلى بيت مع زملاء آخرين) ولا يبخل الأب على ابنه (سنة فقط واشترى سيارة صغيرة آخر موديل لفرحان .... هكذا حدث الأب : المهم راحة ولدى) وبذا تمثلت من الأب كل صنوف الرعاية والحنان والانفاق فى سبيل فلاح الابن ، ولكن الابن يقابل كل ذلك بالإهمال والفشل وضيع جهد والده ولم يعرف الأب إلا عند السؤال عنه (نعم اقترب الأب من المحدَّث ... قلت مفصول ... صدمة كبيرة .... صمت رهيب) إنها نهاية مفجعة نرى فيها حرصاً ومودة من الأب واستهتاراً أو رعونة من الابن ، والكاتب أجاد فى تصوير المشكلة وكان عنوان القصة مناسباً (الأمل الضائع) .

(١) مجموعة (خمية المحبة) ص ٦١ .

النموذج الإيجابى من الأبناء :

ويمثل ذلك قصة (الدائرة المضيئة) [١] وبهذه القصة يبرهن الكاتب على أنه يقتصر لا على الجوانب السلبية فى المجتمع السعودى للأبناء ولكنه يرصد المجتمع برؤية الكاتب الشاملة .

والشخصية الرئيسة فى القصة بنت أبوها مريض (وقفت قليلاً .... الأشجار ذابلة ... والعمر المفقود لا يعود .... الطيب العابر يحمل صورة الأب المسافر .... ونجاح العملية أمسى هاجساً مؤرقاً) هذه الفقرة تصور معاناة الفتاة الأب الغائب لمرضه والاستعداد لإجراء عملية غير مضمونة العواقب وعمرها أيضاً يمضى ، ويموت الأب (والثوب الأبيض يسجى الغائب .... والمقدور أمر مكتوب) وتصبح أمام البنت مسئولية كبرى، مع وجود فرصة للتخلى عن المسئولية (أم غضبى تهدئ من الروع، وهى تهمس فى الأذن بخبر ابن العم زوجاً) ولكنها تقابل ذلك بالرفض بل والثورة والغضب ، ولعل الجو الحزين زاد من رد الفعل) وفنجان تطايرت أجزاؤه) وتتحمل مسئولية أسرتها (والنجاح حليفها والأخوة الصغار فى مرح زائد .... وهى تنثر الهدايا والمناسبة معلمة) إنها آثرت إخوتها على تحقيق أحلامها (والمعلمة تبدأ حياة جديدة .... التضحية والإيثار عنوانها) وتعبر بأسرتها بر الأمان وتصل إلى أعلى درجات البر عندما تزوِّج أخاها ، وبعد ذلك يكافئها الله بتحقيق حلمها عندما يأتى الزوج، وبذا تسعد هى والأسرة التى تحملت مسئوليتها (والفرح قادم أكبر عندما زوجت الأخ الأصغر وغداً يكبر الأمل .... وهى تربت على كتفى...الأم ستعيشين معنا..... و"طارق" يأخذ الفل الأبيض) فقد سعدت الأسرة وفازت هى بزواجها من "طارق" وما زالت بارة بأمها التى ستعيش مع ابنتها فى منزل الزوجية واستمرت الحياة سعيدة والفتاة (تحصد ثمار الصبر والوفاء) فكانت أنموذجاً إيجابياً من الأبناء .

---

(١) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ١٥ .

٢ ـ الموظف فى قصص المجموعة :

الكاتب يقظ ومتنوع ولذا جاءت قصصه متنقلة فى جوانب المجتمع السعودى يرصد أحواله وينقد سلبياته ومن الصور التى لم يغفل عنها الكاتب: الموظف، وجاء تناول الكاتب له من خلال أنموذجين الأول: السلبى المقصر ، والثانى : الإيجابى المخلص فى عمله .

ويمثل الأنموذج الأول قصة : (الإنسان ضمير مسئول) [١] .

ويمثل الأنموذج الثانى قصة : (قراءة فى سجل الضمير) [٢] .

ففى قصة : (الإنسان ضمير مسئول) الكاتب لا يسير على النمط التقليدى فى القصة بل ينتقى مشاهد ويؤلف بينها لتعطى الصورة الكلية للقصة، ويجزئ قصته تحت عناوين مختلفة من (موقف عام) ، و(فى الساعة الأولى) و (فى الساعة الثانية) و (فى الساعة الثالثة) و (فى الساعة الرابعة) و (فى الساعة الأخيرة) ولا يترتب على الأولى ما تبنى عليه الثانية والثالثة فى ترتيب تصاعدى وإنما نلاحظ أنها لقطات وانتقاءات تشبه عدسة المصور فى تسجيله للصور ، وكل موقف يعطى صورة جزئية، ويصبح الحدث هو مجمل الصور ، وليس هناك لحظة العقدة والحل .

فنرى فى الساعة الأولى الكاتب يوضح خطورة أثر المدرس (يولد الحدث وتتسم اللحظة بالحوار ، والنقاش يحتدم دافئاً ، ليتك تفكر فى العاقبة والمصير قبل الولوج فى التحدث وقبل الكلام) الدور خطير حيث المدرس محور التنوير وبناء العقول وكلامه شديد التأثير . (إنه المتحدث فى المكان وكفى) .

---

(١) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٤٨ .
(٢) السابق ص ٥٣ .

وهو غافل عن خطورة دوره (ومضى والطلاب من حوله ما بين متـأثر ومتضجر ، وقد نسى أنه المربى للأجيال) وصار عمله رتيباً غيـر متجـدد ولا يحمل الحماس (ثم تناول قلماً أبيض وخط .... كانت عبارة كبيرة.... الموضوع وتوابعه .... بطاقة أولى يخطها كل يوم على اللوح المعلق ثم توقف .... وتوقفت معه مشاعرى البريئة) إنه محور العملية التعليمية والمجتمع يقر له ذلك (فى حين وصايا أبى ترن هاتفاً فى أذنى "يا ولدى الأستاذ كلامه صحيح وهو كـل شـئ") وتأتى الساعة الثانية لتصور أحداثاً تسبق الأولى فإذا كانت الساعة الأولى تناقش أثر المدرس فى الفصل وفى عمله داخله فالثانية تعالج أمراً أسبق من ذلك (فـى طابور الصباح يحمل أحدهم عصا غليظة ..... فى حين مدرس الرياضـة أعلـن موعد الذهاب للملعب الترابى) وفى الثالثة نرى صورة التقصير بشئ من الرمـز (يعود المدرس ببدلته الخاصة ، وهو يرنو للسماء والجرة الفخاريـة فارغـة ... والنفوس عطشى بدون ماء .... أخذ الرسالة وفضها .... جلس علـى الكرسـى .... سكوت .... سكوت ثم قرأ الرسالة مرتين .... ثم أخذ قلماً أسود وورقتـين وسطر كلمات على " الظرف " بينما منبه الصوت يحسم الموقف بجرس النهايـة وقد فزع الطلاب من نومهم) إننا نرى عودة المدرس يعقبها عمله فـى الفصـل وعلى ذلك فالحدث ليس تقليدياً سبق فيه الأول الثانى ولكن هى زوايا فنية ينفـذ منها الكاتب إلى هدفه، فيعود للفصل وقد رمز إلى عدم الجدوى من عمل المدرس على هذه الصورة فجعلنا نرى (الجرة الفخارية فارغة ، والنفوس عطشى بـدون ماء) وما الماء إلا العلم كما يتضح من السياق ، فالمدرس فى فصله لم يؤد عمله وانشغل بقراءة الرسائل والرد عليها بينما الطلاب نائمون لا يـوقظهم إلا جـرس نهاية الوقت .

وتضح مهمة الكاتب فى قوله : (متى يكون لك ضمير مسئول تستطيع أن تملأ المكان عملاً دؤباً) هذا وإن حمل الأسلوب شيئا من الوعظ والتوجيه . كما يفعل بعض الكتاب وكأن المؤلف (يرى جهلنا فينتدب نفسه لتعليمنا أو وعظنا ودفعنا إلى الطريق القويم ويضعف تجسيد الرؤية إلى أكبر حد ليصبح موضوع الفن مجرد أداة لهذا الوعظ المباشرة) [١] .

أما القصة الثانية : (قراءة فى سجل الضمير) [٢] فتتناول الموظف المخلص فى عمله ، ومن الملاحظ أن كلا القصتين حمل ذكر الضمير، وإذا تناولت القصة الأولى التقصير ، فإن الثانية صورت الإخلاص والتفانى فى العمل من الشخصية الرئيسة (أحمد) وينقل الكاتب صورة العمل وضغوطه (كان المكتب يعج بألوان من البشر والأوراق .... نبرة صوت تحرك الأمل والعمل فى الآخرين .... أرضية المكان تتسع للتحاور والنقاش وجلبة الصوت يضيق بها الفضاء) وضيق الموظفين يلاحق تصرفات المراجعين (وقد تقدم شخص من مؤخرة الصف بلا روية ، والشرر يقدح من عيون المراجعين .... أسرع أولهم باندفاع لا إرادى .... فى حين الغير يزداد تحديقهم) إنه جو مشحون بالعمل وكثرته تؤدى إلى الإرهاق والملل ولكن (أحمد) (عالم جديد يسكن روح " أحمد " .... هو يحاول جاهداً أن يعطى الخير للآخرين) ولا يحرص على مصلحته الخاصة (فى أذنه همس زميله: " الراتب جاء " لم يبد اهتماماً به ، وسارع فى إنجاز عمل اليوم) مع أن (الحشود كثيرة والناس فى زيادة .... والعدد يكبر) وعندما يوضح الكاتب

(١) عبد المحسن طه بدر (دكتور) فى : (الروائى والأرض) ط دار المعارف بمصر طبعة ثانية ١٩٧٩م ص٤١ .
(٢) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٥٣ .

بأن إخلاص الموظف ليس له مصلحة بالنسبة له لأنه فى نهاية العمر الوظيفى (وما هى إلا أيام ويستلم قرار التقاعد) عندها ندرك أن الرسالة التى يريد أن يوصلها الكاتب إلى قارئه والتى تجسدت فى آخر كلمات القصة هى : (ويبقى ضمير الإنسان مسئولاً أمام الله تعالى فى كل شئ) عندها ندرك لحظة التنوير والهدف من القصة ، هذا وإن حملت القصة شيئاً من الخطابة والوعظ .

٣ ـ مجتمع القرية :

إذا عكست القصتان السابقتان صورة الموظف بسلبياته وإيجابياته، فمن قصص المجموعة ما تعرض للقرية وأهلها الطيبين وطبيعة مجتمعها من الدفء الاجتماعى وما يقومون به من أعمال وما يتم بينهم من مشاركة وجدانية وهو ما جاء فى قصة : (صور من القرية) [١] .

(الخطى المرسومة على صفحات الأرض الطيبة .... ما زالت تناجى الربيع الأخضر .... بوروده وأشجاره المختلفة وقد لثم الكون نسيم عليل ، وكان للرعاة والفلاحين نصيب من الفرح والسرور الذى يلف الوادى من حولهم) القرية فى نظر الكاتب طبيعة جميلة انعكست على أهلها من الرعاة والفلاحين فأدت إلى الرضا والسعادة .

ويصور الكاتب العودة إلى الديار بعد العمل (وأصوات الأغنام قد هز القرية هزاً ونهض الأب العجوز على الصوت المدوى عبر الفضاء بعد أن استند إلى كرسى خشبى أنيق وعلى شفتيه أبيات فرحى ، وابتسامات جميلة ، لقد استقبل أطفاله العائدين من المزرعة) هذا الجو القروى يبعث فى النفس السعادة ، وقد حرص الكاتب على توضيح عدم التخلف عن العمل إلا من عدم القدرة وكبر

(١) مجموعة : (خيمة الحبة) ص ٣٩ .

السن الذى تمثل فى هذا الأب العجوز ، والذى إذا تخلف عن العمل لعدم قدرته فقد شارك جلسات المساء وما يدور فيها من اجتماع الناس مع شيخ القرية (أما الآباء فقد تقدمهم الأب العجوز "صالح" الذى يتوكأ على عصا غليظة ، وشيخ القرية يتوسط الجلسة بجثته الضخمة وملبسه الخاص) . ويدور الحوار حول ما ينقص القرية عندما نرى شيخ القرية (التفت إلى الأب " صالح " وقال له : أعتقد أن الوقت حان لبناء سدنا الترابى الذى يروى الأرض الطيبة بعد العطش ، وظمأ البهائم) والذى يجد رغبة من الجميع (لا أحد يتكلم سوى الرؤوس التى تهتز وكأنها تؤدى إشارات الرضى) وعلى ذلك نرى مجتمع القرية فى جماله وتعاونه ورضاه .

ومن عالم القرية نرى صورة أخرى عندما يغادرها بعض أهلها إلى المدينة طمعاً فى حياة أفضل ثم يتضح بعد ذلك أنهم فقدوا أشياء جميلة، ومن الصعب إعادتها وهو ما تمثله قصة : (أنات البئر) [١] .

و التى نرى من خلالها الشخصية الرئيسة " حامد " على الرغم من أنه جالب للماء للقرية من البئر لكنه يعيش حياة هانئة تعمها السعادة (مع الصباح أيقظته زوجته ... وقد تثائب الطير فى عيون الفجر الضاحك "حامد" " حامد " صاحت عليه لكنه تظاهر بالنوم والكسل .... قم وإلا .... الماء .... أين الماء وابتسم فى وجه زوجته ... واتجهت صوب شجرة الحناء.. إنها تعب بروائح ذكية .. قصت منها وردة بيضاء ... وقد سكبت عليها الماء ... فهى مبللة .... رمتها فوق " حامد " شهق ... تغيير مفاجئ .... إنه ماء .. مالك زعلت .. صمت قصير أخذ الوردة وشم قليلاً ... ولكنها للنساء وليست للرجال .. حقاً .. ثم ابتسما) هذه الصورة الجزئية تصور سعادة فى الحياة من خلال بداية يوم جديد فى مشاركة وجدانية بين " حامد " وزوجه ، والكاتب يعقب على ذلك بقوله : (صباح

(١) مجموعة (خيمة المحبة) ص ٣٥ .

جميل ... ونفس تعيسة) وعلى ذلك لا يعرف المرء ما بين يديه من سعادة ودائماً يبحث عن ما ينقصه .

(نظر فيمن حوله .... لقد انفض الصخب .... والتسابق يطول .... يطول .... فلان بنى عمارة وقصراً مشيداً .... وآخر نسى الأهل والأحبة.. والغير سافر بعيداً) هنا المقارنة والتطلع إلى كثرة المال .... وتنتصر الرغبة (وانتهت كل الأمثلة .... لابد من السفر إلى أرض العيش والرزق .... الناس طاروا وأنا قابع هنا) ويغادر إلى المدينة ويصبح فى عالم جديد (الناس مختلفون أشكالهم متغيرة .... حتى ألبستهم تنبئ بأشياء غريبة) وقد نجح حامد فى جمع المال ومع ذلك شده الحنين إلى القرية التى غادرها (جمع نقوداً ليبنى داره) ولكن الحياة تبدلت ولم تبق كما كانت (والناس تأكل بعضها .... نفوس تغيرت .... سأل عن أحدهم قال هذا هو .... نظر فيه .... لا ليس هو كان طيباً .... كان .... !! ثم سأل عن " حسن " قال رحل والجار الآخر .... وصاح .... زمان تغير) وتغير المكان (كانت دار حامد مأكولة الأطراف .... وصاح مرة أخرى من قص جناح دارى من التهمه ؟ من يا عالم .... لا أحد .... الزوجة ماتت ، والدار أخذت نصفها) وعلى ذلك لم تعوضه المدينة عن عالمه السعيد الذى كان فى القرية، ولا بقيت القرية على حالها وشارك حامد بئره فى أناتها التى جاءت فى عنوان القصة لتكون الحكمة لا نشعر بقيمة ما بين أيدينا من السعادة إلا إذا افتقدناها .

٤ ـ البحارة والصيد :

وحفلت القصص بكثير من الحرف التى تعكس حياة المجتمع وتشترك مع القرية فى تجسيد ملامح المجتمع ، وهو ما نجده فى قصة (نشيد السنابل) [١] فنرى فى بداية القصة : (" جازان "[٢] يا حلم البحار المسافر .... يزرع الأمل شوقاً فى عيون السفينة يمتد .... ويمتد حلمه المنشود طويلاً خلف الخضرة والزرقة وأمواج البحر) فالمكان يصبح حلماً يسبح فيه خيال المسافر عبر البحر بحثاً عن الرزق (بحثاً عن اللؤلؤ والمحار٠٠ ليل نهار) وصيد اللؤلؤ نشاط خليجى قديم (عاد " سالم " سالماً يحمل الجوهرة الثمينة والسوق يعج بنشيد الباعة والصيادين) وهذا الجو يعكس صورة من صور المجتمع فى الصيد والأسواق التى تستقبل نتيجة هذا الصيد من اللآلئ .

هذا ويعيد الكاتب صورة القرية والزرع فى مشاركة نشاط الصيادين، (القرية الصغرى تناجيها الحقول .... والسنابل فى الثنايا تجول٠٠ حلم قد تحقق .... يسلم صاحب الجهد الطويل فهو يشدو خلف محراث العمل .... وطفل " سالم " أنشودة محبوبة فى آذان الشياه) وهذه الصورة تعكس الارتباط بالقرية والزروع على الرغم من حرفة الصيد (ورجال الصيد يبحثون عن " سالم " فى عباب البحر وأطراف المدينة) فلا يخفى أن البحر عبر عن نشاط سالم ، ووجدنا سالم نفسه فى الحقول وزرع القرية ، فعبر الكاتب عن صورة من صور المجتمع فى الصيد ونشاط الفلاحين .

---

(١) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٤٦ .
(٢) مدينة سعودية فى الجنوب على البحر الأحمر .

٥ ـ الانشغال الزائد بالعمل :

ومع أن العمل محبب إلى النفس وهو سبيل الحصول على الرزق، ولكن عندما يجرى الإنسان وراء الرزق ويبالغ فى الانشغال به يختل ميزان حياته وينقلب إلى ضرر ممكن أن يلحق بالإنسان اللاهث وراءه دون توقف وإهمال ما عداه . وهى صورة لبعض الأفراد فى المجتمع ، ويصور ذلك الكاتب من خلال : قصة : (السعادة عند الآخرين) [١] .

ففيها يبدأ الكاتب بقوله : (تأبط حلماً ومضى ساوم الأنواء ، مغامر مصارع للأشياء ، ركب فرساً أبلق ومضى ، حلقت به طائرة وأسرعت به سيارة ، والبحار والقارات) البداية تقدم لأزمة القصة : إنسان يحمل أحلامه ويتخذ كل الطرق لتحقيقها، ولعل ذكر مختلف المواصلات من الخيل والسيارة والطيارة ، ما يوحى بالبحث الدءوب والعمل والتنقل المتواصل . وهو ما تفصح به شخصية القصة (الأمل فى الطريق ، الفلوس آتية .... السعادة قادمة .... وأشياء أخرى تنتظر. صفقة رابحة) .

فهذا عالم الشخصية، أمل فى الحصول على المال الوفير ظناً أن السعادة فى جمع المال ولذا تسابق فى عقد الصفقات ، ولكن قطار العمر يمضى والنفس تطلب المزيد (تقدم لحظة صوب المرآة .... فرك جفنه .... سؤال يبحث عن إجابة .... وقد حانت .... عالمك غير العالم الآخر عالم حضارة وسرعة وتقدم وسعادة) هو يعيش بنظرة خاصة للحياة صرح بأنها تختلف عن غيره ، وجريه هذا له نتائج سلبية كانت لها مقدمات . ثم اقترب من المرآة أكثر .... وحدق شحوب تجاعيد) والشيب باد فى العارض) وعلى الرغم من ذلك النفس تطلب

(١) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٢٩ .

المزيد (وما زال البحث عنها جارياً) والسعادة بذلك مفقودة مع المال الوفير (سأل عنه الأبناء والجيران كثيراً .... خبِّرته .... لا يهم .... المهم المال) ومع المال (الخوف والقلق والتوتر من جميع الأطراف باد ، والسعادة فى عداد المفقود) .

وعلى ذلك لم يفلح المال فى جلب السعادة لأن الحرص عليه والجرى وراءه زاد عن حده ، ورد على زوجه بأنه لا يهمه شئ إلا المال. فقد السعادة ولم ينعم بها والعمر يمضى بل وهاجمته الأمراض (ورحيل العمر ينبئ بالأفول المستشفى نوبة ألم ألمت به .... العكاز .... العكاز) وهذه نتيجة حتمية أمام ضغوط زادت عن حدها فضيعت الطعم الهانئ للحياة وجلبت الشقاء (أنقذونى ... أنقذونى) وبذا أفلح الكاتب فى نقل صورة هذا الصنف من البشر فى المجتمع .

٦ ـ العادات والتقاليد :

ويمكن أن نلمح ذلك فى قصة : (لوحة فرح) [١] .

والتى يجعلها الكاتب من خلال ذكريات الطفولة تمر بذهنه ليتذكر، ومن خلال هذه الذكريات نرى أحداثاً تعكس تقاليد المجتمع وعاداته (هذه الخيوط من النظرات الخاطفة .... اختطفتها طفولتى) .

ويبدأ الكاتب بليلة العيد (جلبة صوت تصدر .. العمات والخالات وبقايا تأتأة الجدات .. وخوار الثيران والبقرات والماعز كلها تشارك فى إزعاجى .. لا أدرى ما هذه الليلة الفرحى عندهم .. النساء قد استعددن بتزيين الكراسى الخشبية منذ زمن .. والبيوت مزدانة بألوان مزركشة) الطفل لا يدرك سبب هذا التغيير ، وليلة العيد يجتمع الأهل ويتشاركون الحديث والزينة داخل البيوت وفى الشوارع بألوانها المتعددة .

(١) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٦٤ .

والاستيقاظ مبكراً (ركلنى أخى الأكبر وأعقب : (قم) الناس فى جديد وأنت نائم) والتزاور (كان الرجال يصافحون أبى .. مبروك مبروك .. والليل ساطع الأنوار) وزيارة الأقارب (اللقاء بالأعمام فى مناطق جبلية .. يبعث فى نفسه شيئاً آخر) ومع الذكرى تأتى صورة المجتمع القديمة (فى زمن غابر لم تكن إلا الحمير أو الجمال وسائل تنقل بين القرى ، بل يندر وجود سيارة ... وإن كانت فبشئ من الإعجاب والنظر والمتابعة والملاحظة الدقيقة لهذا المصنوع الجديد) .

أما فى الصباح فجلب الماء وصلاة العيد (استيقظ معهم إلى المسجد .... ثم مضت بهم وسائل النقل إلى البئر المجاورة لهم لانتزاع الماء، والشيح يعانق الأنوف ونشيد الفرح أكبر ومباهاة بهدايا جديدة) فالعيد مقترن بالبهجة والهدايا مع طقوس العبادة من التكبير والتهليل ومساعدة الفقراء (ثم كيف نحمل " زنابيل " الذرة ونفرقها على الجيران الفقراء) .

والسمة الإسلامية (قال لنا لابد وأن نأتى هذه الطريق .... ونعود من طريق آخر .... ومنها نسلم على عمتكم) وما يكون من عادات اجتماعية (وتأبط أخى الأكبر إناء السمن واللبن والذرة البيضاء (الثريد).... إنه صنف طويل من الصحون والأطباق المملوء بأشهى الطعام) ومن العادات ما يعكس العادات المحلية للمجتمع (وبعد الأكل .... يحلو لهم رفع شخص كبير السن إلى أعلى .... وقد لاذ بالفرار منهم ولكنهم أمسكوه وكأنهم يداعبونه ويدعون له بطول العمر) .

إنها الحياة الاجتماعية بكل مباهجها وعاداتها عكسها الكاتب من خلال قصته التى جاءت عبر ذكريات شخص يسترجع من خلالها ماضى الأيام وقد نجح فى ذلك .

٧ ـ قضايا عامة :

وأحياناً يتجه الكاتب فى قصصه إلى معالجة قضايا عامة مثل (الأمية) كما فى قصة (وللفضيلة بعد آخر) [١] ومثل : (الإدمان) كما فى قصة : (سر المسألة) [٢] .

وأحياناً تكون القضايا خارج وطنه مثل الحرب ولكنه شارك فيها وهو ما نراه فى قصة : (زعرور) [٣] التى عالج فيها حرب الخليج الثانية بين الكويت والعراق ، أو قصة (حروف خالدة) [٤] والتى تأتى فى الموضوع نفسه ويظهر الكاتب ما لبلده من دور مشرف فى الدفاع عن الجار ودحر المعتدى ، وأحياناً يعالج قضايا عالمية مثل قصة : (ليلة شتاء)[٥] . التى صاغ الكاتب أحداثها من خلال حرب البلقان وأرانا بشاعة الحرب وموت وتهجير المسلمين على أن هذا الأمر يخص المجتمع السعودى فى صورته الإسلامية وبذا كان الكاتب ثرياً فى اختياراته كثير التنوع فى تناوله، وساعده على ذلك قصر قصصه الذى وصل فى بعض الأحيان إلى نصف صفحة . والقصة القصيرة تساعد على ذلك .

---

(١) مجموعة : (خيمة المحبة) ص٦٦ .
(٢) السابق ص٦٦ .
(٣) السابق ص ٣١ .
(٤) السابق ص ٤١ .
(٥) السابق ص ٤٤ .

ثانياً : صورة المجتمع فى القصة القصيرة المغربية :

من خلال مجموعة : (تحديق فى الفراغ) [١] تتضح صورة المجتمع المغربى التى عكسها كاتب المجموعة فى قصصه ، ومن البديهى أن نقول: إن الأدب هو مرآة الحياة تنعكس عليها صوره ويعبر عنها ، والحياة فى كل مجتمع تتشكل وفق حالته فى مختلف النواحى .

ومن هنا اختلفت صورة المجتمع المغربى عن المجتمع السعودى، وتمثلت ملامح المجتمع فى مجموعة : (تحديق فى الفراغ) فى :

١ ـ البطالة :

البطالة التى تعنى عدم القدرة على الحصول على عمل مناسب يدر دخلاً يعين على الحياة ، على الرغم من البحث والجهد والتسلح بالأدوات التى تؤهل للحصول على العمل . وهو ما يمكن أن نراه فى قصة : (الحقيبة) [٢] .

حيث يتتبع الكاتب الشخصية الرئيسة " أحمد " وسفره لتسلم الشهادة الدراسية التى حصل عليها من خلال دراسته فى الكلية (كان " أحمد " يقف على باب مصلحة الدراسات العليا فى كلية الآداب . لما جاء دوره دخل، وما إن رأته موظفة المصلحة ، حتى قالت له :

ــ الشهادة أنجزت وهى الآن فى مكتب العميد للتوقيع . فى المساء تكون جاهزة) ومن خلال الموقف نفهم أنه لا عناية بالخريجين ولا مكانتهم (حاول أحمد أن

---

(١) المهدى لعرج . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ــ الدار البيضاء الغرب ط مطبعة دار القرويين طبعة أولى سنة ٢٠٠٦م .
(٢) السابق ص ٦٣ .

يستفسر. عرفت موظفة المصلحة قصده، لكنها انشغلت عنه بالحديث ، فلم تعد تسمع . كان أحمد قد تعود على مثل هذا النوع من الإهانة . لا فائدة فلينتظر حتى يرجع فى المساء) وهذا يعطى دلالة على كون الشهادة شيئا قيماً فى نظر أحمد، ولكنها فى نظر هذه الموظفة لا يساوى صاحبها بعد الحصول عليها شيئاً ، ولعل التعود إشارة إلى أن الأمر عام فى المجتمع وهذه النقطة تعد لبنة فى الفكرة التى يريد بناءها الكاتب ليعبر عن مجتمعه ، ويلقى فى طريق " أحمد " شخصية ليتواصل البناء ويتصاعد الحدث (ثم سأله أحدهم ، وهو يتبعه ببضع خطوات :

ـــــ ماذا قالوا لك ؟

ـــــ ارجع فى المساء .

ـــــ الأخ من الرباط ؟

ـــــ لا من برشيد) .

وهذا الحوار يدل على تمرس الكاتب على فن القصة القصيرة فقد جعله يعبر عن ما يساعده للوصول إلى هدفه دون زيادة أو تفصيل، ويكون اللقاء منطلقاً إلى التعارف (واقترح أحمد أن يتناولا الغذاء معاً لم يمانع "مصطفى") ويحرص الكاتب على أن يعيش القارئ واقعية بتصويره ما يمكن أن يكون فى مثل هذا الموقف من تصرفات الأفراد الطبيعية ، دون أن يقحم نفسه أو يوجه قارئه بل يسوق البناء القصصى فى موضوعية ليكون هو المسئول عن توصيل الفكرة (وهكذا هبطا المدينة القديمة ، وحثا السير بين الجموع حتى وصلا إلى مطعم " الهناء " هذا هو عمى الجيلانى ، بائع السمك المقلى) . ويسير الحدث ، وبعد الطعام يتجه أحمد ورفيقه مصطفى إلى مقهى (فى الساعة الواحدة والنصف ، كان أحمد ومصطفى فى مقهى (باليما)) ، وإذا تأملنا نجد الشخصية فى بداية القصة (سعيد) ثم بعد ذلك الشخصية نفسها (أحمد) وهذا له مدلول فنى حيث الأزمة

أو المشكلة تخص الخريجين مهما تعددت أسماؤهم دون فرق ، وسيتضح فى نهاية القصة المغزى من التركيز على الوقت ، ويدلف الكاتب إلى محور القصة من خلال حوار أحمد ومصطفى

ـــ يبدو أنك مثلى جئت تسحب شهادة التسجيل .

ـــ لا يا حبيبى ، إنما لأسحب شهادة الدكتوراه .

وارتاع أحمد لسماع "حبيبى " ماذا يحمل ذلك ؟ لكن روعه لم يعد شيئاً أمام هذا اللقب الخطير الذى يتحلى به صاحبه وهو لا يدرى ، وقال أحمد فى نفسه " إذن أنا رفقة دكتور) ، وبذا يتخيل أحمد ما يمكن أن يترتب على هذه الدرجة العلمية من مكاسب ووجاهة اجتماعية (ثم قال يخاطب صاحبه:

ـــ الدكتوراه ؟

ـ نعم الدكتوراه) وهذا السؤال فى دهشة واستغراب لما فى الذهن من قيمة ومكانة لهذه الدرجة ، ويتواصل الحوار :

ـــ (أى تخصص ؟

ـــ علم الاجتماع)

وبعد ذلك يكون الاستفسار عن دور هذه الدرجة العلمية فى الحياة والمكانة الاجتماعية :

ـــ (وفى أى جامعة تدِّرس يا أستاذ ؟) .

وتكون المفاجأة ، وفى الوقت نفسه الوقوف وجهاً لوجه مع مشكلة القصة وأزمتها عندما يأتى الرد : (أنا عاطل يا حبيبى مثل العشرات أمثالى) وكان وقع ذلك شديداً على أحمد ويظهر رد فعله (وصمتا برهة أشعل مصطفى سيجارة أخرى أما أحمد فأشعل نيران التساؤل فى مجموعة من أفكاره . أحس بدبيب الانهيار يسرى إلى طموحه ، وإذا بآماله مجرد جبل من ثلج قابل للذوبان فى أية لحظة) .

هنا قمة الحدث التى أحسن الكاتب سياقها وأفصح بمقصوده دون أن يدخل فى خطابة ووعظ بل جعل حركة القصة وتناميها وحركة الأشـخاص وتحـاورهم المنطقى والطبيعى يؤدى هذا الدور ، وقد دلل على نضج القصة لديه فنياً وإلمامه بأدوات القصة القصيرة ، ففى هذه اللحظة قد نجح فى التعبير عن موقف واحـد من الحياة ولم يدخل فى تفريعات أو تفصيلات إنما قاد بناءه بحنكة نحو الهدف . وما سيأتى هو تعميق للفكرة حتى يستوعبها القارئ .

وتكون النتيجة (لكن أينبغى له أن يجد حتى ينال الدكتوراه ليجـد نفسـه يوماً ضائعاً فى دروب الرباط ؟) .

وتوضح القصة أن البطالة لا تخص علم الاجتماع فقط بل هى عامة

(قال مصطفى بثقة :
ـــ واضح أن الأدب هو تخصصك .
ـــ صحيح ، أجاب أحمد .
ـــ الأمر سيان ، يا حبيبى) فمهما كان التخصص فمصيره البطالة .

فالكاتب تناول مشكلة اجتماعية برؤية الناقد عن طريق عرضـها الـذى يؤدى إلى الإحساس بها ومعالجتها (فالأديب الكبير لا يمكن أن يصور لنا مجتمعاً من المجتمعات فى حالة سكون وجمود وكل شئ فيه على ما يرام) [١] .

ويعبر الكاتب بما يوضح سخريته عند استلام احمد شهادته (ثـم جـاء دوره فدخل ، وما إن أطل على موظفة المصلحة حتى ناولته شهادة التسـجيل[٢]

(١) عبد المحسن طه بدر (دكتور) فى : (حول الأديب والواقع) ط دار المعارف بمصر طبعة ثانية ١٩٨٠م ص ٩ .
(٢) التسجيل للماجستير وهى عندنا فى مصر تساوى الدراسات العليا التمهيدية .

طواها بعناية ، وضعها فى الحقيبة ، وخرج قاصداً محطة الرباط المدينة) هذه الجزئية مقارنة بين موقفين هامين : قيمة الشهادة فى نظر صاحبها وعنايته بها وفى نظر المجتمع الذى أهدر هذه القيمة وعند ذلك يشع العديد من الدلالات والمعانى ووضعها فى الحقيبة . والحقيبة ذاتها يجعلها الكاتب فى نهاية القصة مفتقدة وضائعة والشخصية متشككة هل اصطحبتها أم لا ؟ (ومرقت من باب المحطة ، وفى بهوها بالضبط تذكرت الحقيبة ، لم تكن ساعتها معى ، ونسيت هل كانت معى فضاعت ، أم أننى لم اصطحبها معى فى سفرى أصلاً) وبذا شاكلت الحقيبة ما بداخلها وهى الشهادة . وأصبح الحصول عليها مشكوك فيه نظراً لضياع قيمتها، ويضيف اهتمام الكاتب بالزمن فى هذه القصة مغزى آخر هو بعد التعب والمتابعة والدقة فى المحافظة على الوقت والاجتهاد فى الدراسة تصبح النتيجة : لا شئ وهو ما قصده الكاتب .

وتسير قصة : (حلم دائرى)[١] فى معالجة القضية ذاتها (البطالة) ولكن من زاوية أخرى ، عندما يتناول الكاتب عالم الأنثى فى الفتيات وكانت مشكلتهن أعمق؛ لأن الفتيات ينظر إليهن المجتمع العربى بأنهن درجة ثانية بعد الشباب فى الحصول على العمل، فعليهن المقاومة ومضاعفة الجهد نحو نظرة المجتمع، ثم القدرة على تحقيق طموحهن فى الحصول على العمل وتفصح بداية القصة بالتحدى الأول (اقتربت منها كأنها تتودد إليها لكنها خاطبتها بنبرة تحتمل بعض التأنيب قائلة : " إذا يئست أنت ، ماذا يكون حال أخويك : خالد وعبد الله ، وحال جواد ابن عمك) الأم تحاول أن تصرف ابنتها عن البحث عن عمل والسفر إلى المدينة ، وذكر أخويها وابن عمها، يوحى بأن هؤلاء أولى بالحصول على العمل ، ويحاول الكاتب أن يوضح عمق مشكلة البطالة بتوضيحه أنها لا تقتصر على أبناء هذه العائلة ولكنها شيئاً عاماً .

---

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٢٥ .

(ثم دعى هؤلاء وانظرى إلى غيرهم ، ألا ترين أن معظم أبناء القرية قد درسوا حتى شاب رأسهم ثم رجعوا من المدينة ليرعوا الغنم ويشتغلوا فى الحقول؟) فالمشكلة عامة ومطبقة وخانقة ، والتعليم أصبح وسيلة قاصرة لا يؤدى إلى الهدف منه .

وأمام نظرة المجتمع التى عكستها نصائح الأم (تكومت أمل حول نفسها ولاذت بالصمت ، فهى تعرف أن أعصاب أمها أرهف من حد السكين، وما تريد أن نشخذها أكثر) فالاعتصام بالصمت كان رد فعل أمل حرصاً على أمها وشفقة بها ، ولم يكن عن اقتناع أو استسلام (وتعرف أن هذا ليس مقام أخذ ورد) فالصمت لأن المقام لا يساعد على إظهار عدم الاقتناع (وإلا فما سمعته أمر كان لها فيه نظر) وبهذا بقى رأى "أمل" ولم تغيره مقولة الأم (أمها أرادت أن تنصحها ، وقد فعلت . فلتدع قافلة النصح المباركة تمر بسلام كالعادة) إذن عزم الشباب باق وإصراره موجود ويعى حقه ويوقن بدوره ، ولكن الصمت جعل الأم تظن أن نصائحها أتت ثمارها، فتروح تعدد مجالات البنت (وماذا لو تعلمت الفصالة والخياطة على يد عمتك " زهو " ؟) فبهذه الأعمال يمكن أن تتنازل البنت عن حقها فى العمل بعد الحصول على المؤهل الدراسى فى نظر الأم .

وتحاول الأم عن طريق آخر أن تصد ابنتها عن وجهتها (إن نسوة الدوار أصبحن مثل نسوة المدينة ولباسهن كلباسهن) فإذا كان العمل يجعل "أمل" تعيش فى المدينة ففى القرية يعيش النسوة مثل المدينة . (والفتيات مصيرها الزواج) (ويأتى الخطّاب يا ابنتى عندما يشاء ربنا الرحيم إذا تزوجت كان أكثر تفكيرك فى زوجك وأولادك) وهذا يماثل تماماً الواقع المعيش فى المجتمعات العربية ، وبذا كان الكاتب مجيداً فى محاصرة الفكرة وملاحقتها فى قصة نرى فيها الحياة واقعية نابضة ، بهذه اللفتات الفنية الرائعة (أنت لست كأخويك هل تريدين أن يسلقنا

الناس بألسنتهم ؟) وهذه هى العقبة الأولى التى تقف أمام البنت فى الحصول على العمل وتضاف إلى عدم وجود فرصة العمل أصلاً أمام الفتاة .

وعن طريق الاسترجاع أو تأمل الماضى فى حياة الشخصية نرى الأمل والاجتهاد والتفوق (قامت أمل ترتب سريرها وتدثر أمها، وذهنها شارد لا يلوى على شئ مما دار بينها وبين أمها فى هذه الجلسة وهى تحس بالمرارة عندما تتذكر ماضيها . أين هى الآن من لقب " مجتهدة" الذى أطلقوه عليها ؟ حينها كانت تؤمن أن المستقبل الزاهر آت وأن المسرات ليست منها ببعيد ، وإنما هى مسألة وقت فقط) وهذه هى الآمال التى تراود الشخص فى رحلة الدراسة ، وأمل ليست مقصرة وإنما مجتهدة ومتفوقة نتيجة حرصها على التعليم وإيماناً منها بدوره فى الرقى وتوفير حياة كريمة (ولا تريد أن تنسى ما خصها به الأهل والجيران من مظاهر الاحتفال والتهنئة عندما عادت من المدينة قبل عام وقد شاع فى القرية خبر حصولها على شهادة الإجازة ، ساعتها أحست أن عليها مسئولية أكبر) رحلة كفاح توجت بالنجاح فى الدراسة وتقدير للتفوق ، ولكن الواقع مؤلم (وتتوارى عن أنظار المهنئين خوفاً وحياءً ألا تقدم لهم ما ينفع لكن مكانتها عظمت عندهم) وإذا كان هذا هو الماضى فالواقع الآن لم يأت بالنتيجة المرجوة (فسامحيهم يا أمل إنهم لا يعلمون وعذراً للناس الطيبين البسطاء).

ويبقى الأمل والمحاولة (وعادت أمل إلى المدينة من جديد . فى هذه المرة ، اقترحت عليها " نادية " زيارة إحدى الشركات التى كانت قد نشرت فى الجرائد إعلاناً تشير فيه إلى حاجتها الآنية إلى عاملات فى التسوق) إشارة الكاتب: (فى هذه المرة) توحى بمرات كثيرة فى البحث .

ويصور الكاتب الفرحة الغامرة لمجرد الأمل فى الحصول على عمل بقوله : (وخفق قلب أمل وكيف لا يخفق وهى التى أضناها العثور على عمل منذ عام) .

ويأتى الزمن ليوضح تطور الحدث فى عناوين : (صباح اليوم الأول) (هلَّ الصباح بعد انتظار طويل . جفاهما النوم فتهيأتا منذ وقت مبكر . لبستا من الثياب أجود ما ادخرتاه لمناسبة كهذه . وكان لابد أيضاً من رش بعض الطيب ، فإن شر الرطوبة غير مأمون ، فى تلك الغرفة التى لا يتسرب إليها الضوء سوى عبر كِّوة بمحاذاة السقف) وبهذا الجو يتصاعد الحدث نحو الغاية ويعكس الاهتمام الزائد وندرة العمل وقيمته فى الوقت نفسه ولا سيما فى نظر من يسكنون مثل هذه الغرفة التى تدل على رقة الحال والاحتياج ، ويتابع الكاتب تصوير الخطوات اللازمة للفوز بفرصة العمل هذه (اعتنتا بمظهرهما بشكل لافت) و(فى الصباح نسيتا تناول الفطور أو تناسيتاه فقد انقبضت شهية الأكل وانبسط حبل الأمل والرجاء الآتى كان أهم) تتبع هذه الدقائق هى خيوط فنية يقصدها الكاتب ليتابع بدقة حالة الشخصية القصصية وسعيها وحرصها ، ومدى قيمة الغاية التى تسعى إليها (وربما تحقق بعد سويعات قليلة) (دعوتا الله دعاءً صادقاً طويلاً ، وسارتا إلى مقر الشركة يحيط بهما الوجل من كل جانب) ويوضح أن الباحثين كثيرون (كان هناك عدد لا يستهان به من الشباب ذكوراً وإناثاً ، يذرعون الشارع جيئة وذهاباً) .

(وكان فى الداخل طابور من المنتظرين ظل يتلوى بمحاذاة الجدران) وبذا جعل الكاتب قارئه يجرى وراءه لمعرفة نتيجة هذا التصاعد فى تتابع الحدث ، والخطوات والإشارات الفنية تحتاج إلى نتيجة بعد هذه المقدمات التى ساقها الكاتب ، وكان من المنتظر أن تكون النتيجة مناسبة للجهد المبذول فى سبيل الحصول عليها ، وتأتى النتيجة مخيبة للآمال (إشهار بعض المنتوجات : معجون

أسنان وصابون ومرهم للبشرة) وبذا كان العمل لا يناسب الطموح والسعى إليه فأصاب بالإحباط (لم يكن فى البدء مغامرة ، بل خفقان وتوجس ودعاء صادق وأمل عريض، ثم صار بعد ذلك مجالاً للتندر والتسلية) ولكن حتى هذا العمل المهين بالنسبة لخريجى (الإجازة) وظروف الفتيات لعدم مناسبته وقلة قيمته نجد حرص الفتاتين عليه (ولا مجال للنكوص ، فليذهب قوس الرجاء إلى آخره) ويملى صاحب العمل شروطه المجحفة بالشباب (والتحفيز فى الشركة متدرج، ينقسم بموجبه العاملون إلى ثلاث فئات : فئة المبتدئين ، وهى مرحلة تدوم شهراً كاملاً بدون مقابل ، وفئة المتوسطين ، وتدوم شهرين بمقابل عشرين درهماً فى اليوم الواحد ، ثم فئة المؤهلين التى يسمح لمن بلغها بالعمل لمدة عام بأجر يوازى قيمة المنحة الجامعية) .

لا شك أن هذه الشروط وهذا التفصيل مقصود من الكاتب لأنه يوضح مدى الإجحاف ، ويعقب عليه الكاتب بطريقة ساخرة (وكل فئة عنوان مرحلة وكل مرحلة شوط من عذاب ، والعذاب هذه المرة مباراة مفتوحة بإعلان فى الجريدة ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)[١] فالعرض رحلة عذاب ومع ذلك يفوز به قليلون بل يجب عليهم التنافس فى الحصول عليه وهو ما يوضحه الاقتباس الذى ساقه الكاتب .

مع أن العمل مهين (حملت أمل الحقيبة المملوءه بالمرهم والصابون ومعجون الأسنان وبدأتا الرحلة ، ولم يكن أشق عليهما من أن يلاقيا أحداً من المعارف فيراهما على هذه الحال التى اعتبرتا أنها تنطوى على نوع من المهانة) .

(١) اقتباس من سورة المطففين آية رقم ٢٦ (ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) .

وهكذا كانت القمة التى اتخذ الكاتب وسائل متعددة سلكتها الفتاتان وكيف كانت المفارقة بين الجد والحرص والاستعداد والنتيجة التى تحققت، وقد نجح الكاتب فى التصاعد الفنى بحدث القصة لتشع منه دلالات عديدة يستوعبها القارئ .

ويأتى الزمن ليدل على المتابعة الحثيثة : (عصر اليوم الأول) وذلك بعد الصباح ليدلل على اتساع الوقت الذى أنفقته الفتاتان فى العمل والبحث عن مشترين وكانت محصلة ذلك (قد باعتا بعض القطع لكن ما يزال فى الحقيبة الكثير) وفى سبيل التمسك بالعمل والتقيد بشروطه (اقترحت أمل أن يدفعا إلى المسئول ثمن ما بقى على اعتبار أنه بيع) وبهذا بدا أن العمل يأخذ ما مع الفتيات من نقود بدلاً من أن يعطيهما، ولكنه حل غير ممكن (فعارضتها نادية بحجة أن النقود سرعان ما ستعوذهما فى الأيام الموالية) ويصبح العمل بلا مقابل ، والحاجة ربما تدفع إلى بعض التضحيات غير المستحبة فى محاولة الاقتراض من بقال الحى الذى لا يعطى من غير مقابل فتعود أمل من عنده حاملة النقود (بدت مرتبكة قالت تداريها " العجب العجب " ابتسمت أمل ابتسامة باهتة ، بينما نادية تقول فى نفسها " لا شك أن الحقير اختلس منها قبلة) وبذلك يكون الحصول على المال يتبعه تضحية سيئة وخاصة " عند البنت " ، ثم يأتى تحديد الوقت : (مساء اليوم الأول) (عادتا إلى مقر الشركة وقد هزمهما التعب ، وأتى الملل على القسط الأعظم من الأمل الذى كان يراودهما) ويظلان فى المحاولة دون رضا أو راحة (وضغطتا قسراً على نفسيهما للتظاهر بالحيوية والنشاط وتجالهتا نداء الجسد الذى يئن) وهذا جانب الشقاء والتعب، وصاحبه وجع الضمير على إهدار الكرامة (والضمير الذى يحتج ويلج فى الاحتجاج) .

وبذا جاء الزمن ليوضح مراحل المعاناة بالتفصيل فى اليوم الأول، والكاتب بخبرة القاص المجيد يترك تسعة أيام ويذكر (مساء اليوم العاشر) وكأنه يقول ومضى الزمن والأيام على هذه المشاكلة ويستخدم الكاتب بذلك ما يعرف بالحذف الذى (يعمل على تسريع وتيرة السرد ويعمل على تجاوز فترات زمنية ، فهو يلغى فترات زمنية من السرد لينتقل إلى أخرى) [١] وهو حذف معلن والذى فيه (الكاتب يعلن عن الفترة التى حذفت من السياق القصصى) [٢] .

وتكون المحصلة بعد عشرة أيام : هذا الشقاء الذى يوضح معاناة الباحثين عن العمل والسوق التى تستقبلهم (فى هذا المساء تنبهتا إلى أن ديونهما تزداد وصارحت كل منهما صاحبتها بما تجده من ملل وفراغ، اعتقدتا أن الرواج سيتحسن فعلاً بمرور الأيام لكن لا شئ من ذلك قد تحقق) وبهذا أعطانا مبرراً للانتظار الطويل ، قد تحملتا الشقاء طمعاً فى انبلاج الأزمة ولم يكن رضا أو انتظاراً بغير مبرر ، وفى النهاية (اتخذتا قرار الاستقالة ، أعتقتا رقبتيهما من عمل قالت نادية فيما بعد : إنه لم يكن سوى عقوبة سيمحى الله بها بعض ذنوبهما بلا شك) .

وبذا أفلح الكاتب فى التعبير عن إحدى قضايا مجتمعه ممثلة فى البطالة التى تحققت فى القصة الأولى على الرغم من الحصول على أعلى المؤهلات وفى القصة الثانية بعد المحاولة والنزول إلى سوق العمل ولكن تأبى فرصة العمل أن تجئ وإذا جاءت فهى فى صورة غير مقبولة أو مرضية، ولم تؤد إلى الرزق الحلال، فكانت الفكرة تتسم بالاتجاه الواقعى الذى (يعتمد أكثر ما يعتمد على

(١) ضياء لفتة (دكتور) وعواد كاظم لفتة (دكتور) فى : (سردية النص الأدبى) ط دار الحامد للنشر والتوزيع عمان بالأردن طبعة أولى سنة ٢٠٠١م ص ٥٩ .
(٢) السابق ص ٥٩ .

معطيات الواقع الخارجى ، والتأثر المباشر بالمجتمع) [١] .

٢ ـ الفقر :

هذه الصورة من صور المجتمع أولاها الكاتب عنايته وجاءت فى قصصه وأشار إليها بطريقتين ، الأولى : أنها جاءت عرضاً فى ثنايا القصة عنده ، والثانية : فى قصة مستقلة كلها تدور حول هذه الصورة المجتمعية من صور المجتمع المغربى .

وتوضيحاً للصورة الأولى نستعرض ما جاء فى قصة : (فى الطريق) [٢] فمع أن القصة تسلط جل اهتمامها على الفقر وأهله لكن الكاتب يجعل ذلك أمراً عارضاً بجوار الحدث الذى بدأ به قصته فى سفر " السى عبد الرازق " – الشخصية الرئيسة – إلى بلدته ليعالج خلافاً نشأ بين أخته وزوجها وعندما تفاقم الأمر استدعوه وهو فى الطريق يبدأ حدث جديد ، أراه محور القصة لأن الكاتب لم يناقش أو يسلط الاهتمام على غيره ، والحدث هو عندما (يرى فتاة على جانب الطريق تلوح له بيدها بإلحاح) ويوضح الكاتب حرص الشخصية على استجلاء الأمر والاهتمام بشأن هذه الفتاة ليبين معالم الشخصية التى تكون مشاعرها أمام الفقر معلماً من معالم بعض أفراد المجتمع (كان قد تجاوزها بعشرة الأمتار ، لكنه توقف ورجع إلى الخلف ، بينما كانت هى تتجه نحو السيارة مهرولة) ويبدأ الحدث فى الانسياب والتنامى (أطلت الفتاة على السائق من نافذة الباب الأمامى للسيارة، وطلبت منه فى توسل أن يأخذها معه حتى مدينة (مكناس) [٣]إن كانت

(١) جلال العشرى فى : (ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة) ط هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٨١ ص٣٣١ .
(٢) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ١٧ .
(٣) بلدة مغربية .

تلك وجهته) . ويتجاوب " السى عبد الرازق " مع طلبها وهذا يعطى دلالة على الحنو والمساعدة لهذه الفئة من المجتمع التى تطلب العون ممن يستطيع (وافق السى عبد الرازق على طلبها ، لأنه ما وقف فى الحقيقة إلا ليساعدها) وبذا أصبحنا من خلال ذلك فى خضم الحدث ونحاول أن نستجلى أبعاده، ونتابع من خلال الكاتب حلقاته (ثم فتحت الباب الآخر وانزوت فى المقاعد الخلفية للسيارة) ويطالعنا الكاتب بسمات ومظاهر الفقر من خلال هذه الفتاة (كان السى عبد الرازق يسوق سيارته ، ويسترق النظر إلى الفتاة من حين لآخر ، فى المرآة المثبتة على مستوى جبهته أسفل سقف السيارة ، كانت فتاة مراهقة ، وتبدو فى سن الأطفال، إمارات الشقاء والإهمال بادية عليها) فهذا النمو الضعيف من سنها الذى يدل على أنها فى سن المراهقة ومظهرها لضعفها يجعلها فى صورة الأطفال ويزيد على ذلك إمارات الشقاء والإهمال التى تلازمها والفقراء أمثالها .

وتتسلسل حكاية الفتاة لنرى الفقر بكل ألوانه (أين كنت ؟

ـــ عند الدكتور .

ـــ مريضة وبدون مرافق ؟

ـــ لست مريضة ولكن اشتغل فى بيته أساعد للاسمية) .

وإلى هنا يكون الكاتب وضح صورة الفقر فى منظر وهيئة هذه الفتاة، ووضح مجال عمل الفقراء والحرف التى يمكن أن يزاولوها والتى تمثلت فى الخدمة فى المنازل .

ويوضح الكاتب من خلال قصته ما تعانيه طبقة الفقراء فى أعمالهم التى يزاولونها (وماذا حصل حتى تخرجى للسفر فى هذا الوقت ؟

ـ خفت منها . قالت ستذبحنى إذا احترق الطاجن . وقد انشغلت فنسيت، واحترق فعلاً . لقد خفت يا سيدى خفت أكثر من أى وقت مضى)

والكاتب يعقد مقارنة بين حياة الفقراء ومخدوميهم .

(وأين ذهبت هى ؟

ـــ إلى صالون الحلاقة) وبين حياة أبنائهم ،(وكنت وحدك فى الدار ؟

ـــ سعد كان موجوداً .

ـــ ومن سعد هذا ؟

ـــ ابنها ، وهو ينهرنى ويضربنى

ـــ دعى الضرب جانباً هل رآك تخرجين ؟

ـــ لا أظن ذلك . كان فى غرفته رفقة فتاة تعود أن يصطحبها معه كلما أيقن أن أمه ستتأخر فى الرجوع إلى البيت) .

ويوضح الكاتب الحاجة التى دفعت هذه البنت إلى العمل فى خدمة البيوت عندما قال لها أبوها : (ولم يعد لديك ما تفعلينه " قلت : " هنا أنت وقبر أمى والأرض التى أعرف جيداً فضمنى إليه وبكى) وتكون الحاجة هى الدافع (قال لى أنا رجل مسكين وإذا اشتغلت سادعتينى) فبَّين البعد الاجتماعى للفتاة (والذى يتمثل فى انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية، وفى عمل الشخصية ، وفى نوع العمل) [١] وقد وضح الكاتب ذلك .

ويركز الكاتب على العذاب والمهانة فى حياة هذه الفتاة من عالم الفقر والفقراء فى المجتمع (إنها تضربنى لأتفه الأسباب . إذا احترق الأكل تضربنى ، وإذا عوى الكلب تقول أنت أخرت عنه الأكل ، وإذا صرخ ابنها الصغير تضربنى ، وإذا تشاجرت مع زوجها تضربنى ، وإذا انكسرت آنية تضربنى طبعاً) ويصل الأمر إلى التعذيب بالنار (وبدأت تكوينى بالسيجارة المشتعلة فى مناطق من جسدى) ولا يوجد من يشفق على هذه الفئة أو يتعاطف معها (ولماذا لم تخبرى

(١) محمد غنيمى هلال فى : (النقد الأدبى الحديث) ط دار الثقافة ــ بيروت ــ لبنان سنة ١٩٧٣م ص٦١٤ .

زوجها على الأقل ؟
ـــــ لم أشعر يوماً أنه يمكن أن يحمينى منها) .

وبهذا تكون قمة المأساة والشقاء فى حياة هذه الفتاة الفقيرة البائسة (أحس السى عبد الرازق برغبة فى البكاء لو كان وحده فى ذلك الوقت لصاح بأعلى صوته) والحقيقة هذا هو شعور الكاتب ورأيه نقله على لسان الشخصية ، وهو إذا نبه إلى هذه الفئة وما تلاقى من ظلم فإنه يوضح العجز فى إنصافهم (كان يتخيل نفسه والسيارة تدب فى الطريق السريع عبارة عن حشرة . ضائعة لا تنفع ولا تضر ، وكم كان يود لو أنه باد فى الخلاء فيصعد إلى أعلى ربوة ويناجى الله أن يرحم الضعفاء من الناس) وصورة الشخصية هنا من وجهة نظر نقدية (لا تعتمد على الإقناع بل تعتمد على دقائق الواقع ومدلولاته المباشرة فى شكل لوحة تستدل معالمها الخارجية على جوانبها النفسية) [١] .

ويتعدى شعور الكاتب الصورة المفردة لهذه الفتاة إلى كل الفقراء ومن أدى بهم إلى هذا الفقر وأنه إذا لم يتدارك المجتمع علاج مشكلة الفقر فهو متهم وما فقر هؤلاء إلا لأسباب اجتماعية تصل إلى حد الإجرام فى سبب هذا الفقر الظالم (وتساءل فى نفسه عما إذا كان الانتقام هو وحده الذى يثلج حرقة مثل هذه النفوس المكلومة) ثم يعود فيرى الجناة كثر والأسباب مهولة ، وهناك خلل (ولكن ممن الانتقام؟ فقد اتسعت أمامه دائرة الجائرين والمتواطئين . وتراءى له الحق ذليلاً مضهداً منزوياً مهجوراً) وبذلك شخص الفقر من زوايا متعددة ووضح خطره وأعطى له القسط الأكبر من قصته ولم يجد بداً من مد يد المساعدة لهؤلاء الفقراء (وناداها فأعطاها ورقة صغيرة ملفوفة) . وتوقف عن متابعة الحدث الأول فى

(١) محمد غنيمى هلال (دكتور) فى : (فى النقد الطبيقى والموازنات) ط دار نهضة مصر د.ت ص٥٠ .

مشكلة أخته التى بدأ بها القصة ليكون الفقر هو المحور الذى أولاه عنايتــه ، وقــد أجاد الكاتب فإن (مسئولية الأديب أمام مجتمعه تتمثل فى مقدار تفاعله مع الأحداث التى يعيشها هذا المجتمع) [١] .

ويأتى كذلك الفقر عرضاً فى قصة : (علال يحلم) [٢] . عن حال (صفية) زوجة (علال) بعد أن استقر بها المقام فى المدينة وهجران القرية يقول الكاتب : (وكانت عندما تبقى لوحدها فى البيت كثيراً ما تشغل نفسها بمقارنــة حالهــا بحال جاراتها . صحيح أن زوجها لم يذهب إلى أسبانيا ، وأنه لم يعد بالتالى فلاحاً كبيراً ، وأن ولديها هشام ومصطفى لم يتابعا دراستهما حتــى يتخــرج أحــدهما مهندساً زراعياً والآخر بيطرياً) وهذه معالم تشير إلى عدم تحقيق الأمانى وطبعاً الذى يعوق تحقيقها هو الفقر.

وبالمقارنة بين حالها وغيرها من الآخرين نرى صوراً للفقر الشديد (لكن حالهم لم يكن أكثر سوءاً من حال الآخرين . أطفال الجيران أيضاً يبيعون الأكياس البلاستيكية والسجائر بالتقسيط فى السويقة .... بل هى ذاتها ، فى قرارة نفسها ، لا تنكر حقيقة أنها أكثر حظاً من جاراتها . فبعضهن كن أرامل ، ومنهن كــذلك المطلقات اللواتى تضيق بهن الأرض فى سبيل كسب قوتهن وقــوت أولادهــن) فهذه الفقرة توضح صورة من المجتمع ترى فيه (صفية) أناساً أكثر فقراً منها ، بل وتستعرض أسباب الفقر فى اليتم والترمل وعدم وجود ما يعين علــى نفقــات الحياة، والأعمال التى يمارسها البعض ، وهى لا تدر دخلاً يضمن حياة كريمــة ، الحقيقة أن الكاتب وقف أمام الفقر وصورته من خلال حديث الشخصية ولم يقحم نفسه فى الحديث المباشر أو الخطابية وهذا يحمد له فى البناء القصصى، فالكاتب

(١) عبد الحليم بلبع (دكتور) فى : (بين الأدب والنقد) مجموعة مقالات وبحوث جمعها وحررها وقدم لها مهدى علام (دكتور) ط هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٨٥ ص١٨٦ .
(٢) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٣٩ .

هنا وضح صلة الأدب بالمجتمع لأن (الأدب يحاول محاكاة الحياة وترديد صداها وعكس سماتها ، والحياة إلى حد كبير حقيقة اجتماعية) [١] .

وأحياناً يفرد الكاتب قصة كاملة ليسوق لنا صورة الفقر فى المجتمع كما جاء فى قصة :(تحديق فى الفراغ) [٢] التى جعلها الكاتب عنواناً لمجموعته القصصية ، وهذه القصة بلغت الغاية فى الجودة سواء فى التناول أو البناء وعالجت مشكلة الفقر بطريقة مبتكرة وليست تقليدية بل اتبعت بناء الصورة القصصية على طريقة (التوليف) أو المونتاج وهى طريقة حديثة اكتسبتها القصة القصيرة من الفنون الدرامية المشخصة فى السينما وطرق العرض الأخرى .

ويجعل التناول القصصى أو القالب الذى يفرغ فيه الفكرة من خلال شخص مصاب بالأرق كثيراً، ومن هنا اختار مجموعة من الكتب ليقرأ منها عندما يأتيه الأرق . (كنت أول الأمر أختار كتباً كثيرة ، متنوعة، كنت دائماً أنوى قراءتها فى ساعات الأرق) ولعل عالم القراءة هذا وحبها ينطبق على الكاتب نفسه . لعدة دلالات منها أنه لم يذكر اسم الشخص هذا وجعل القصة على لسان الراوى ، وأخيراً خشى من متابعة عرضه ونقده للواقع ، وهو حال الكتاب عندما يتناولون قضايا المجتمع ويوجهون النقد اللاذع ، والكاتب ينتقد كذلك بعض الكتب التى تبعد عن الواقع أو لا تعالج أدواء المجتمع ولذا انصرف الكاتب عن نظريات بعض هذه الكتب واتجه إلى الواقع يستقى منه ما يريد نشره ومعالجته (هو الذى صرفنى عن عادة المطالعة التى واظبت عليها سنيناً كلما انتابنى الأرق) ويعرض علينا

(١) على أدهم فى : (فصول فى الأدب والنقد والتاريخ) ط هيئة الكتاب المصرية سنة ١٩٧٩م ص٢٤١ .
(٢) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٨١ .

فكرة قصته وموضوعها من خلال مشاهد تكوِّن بمجموعها الصورة الكلية، وتعد كل منها لبنة فى البناء أو صورة جزئية (وعلى أية حال ، فعندما اطلعت على الشارع من شباك نافذتى لم أعد أذكر آخر ما قرأته وكأننى اكتشفت منذ الوهلة الأولى هواية جديدة أكثر متعة وفائدة) إذن الكاتب من نافذته يحاول التقاط المشاهد وكأنه يمسك بآلة تصوير ويلتقط الصور وينقلها للقارئ ليشاركه الرأى ، هذا واتسم عرض الكاتب بالسخرية التى تدعو إلى معالجة الفقر .

وتتوالى المشاهد (كان كل ما استأثر باهتمامى أول الأمر مواء حاد لقطة ــ كانت على ما يبدو ــ تقاوم نزوات قط جسور . كان القطان ينطان من ركن إلى ركن فى الشارع) ومن خلال عالم القطط يربط الصورة بالفقر عند الإنسان فى مشاركة بين القطط والإنسان (أليس هذان القطان حيوانين أليفين ، وحقهما أن ينعما فى دفء أحد المنازل) ويوضح الصورة أكثر (وتداعت إلى ذهنى صور قطط الأغنياء ، ولم يعد لدى شك أن حال مثل هذه الحيوانات المسكينة أيضاً قسمة ونصيب . فمنها ذوات الحظ الوافر، ومنها ذوات الحظ العاثر . وعالم الحيوان ــ فى كثير من الوجوه ــ مثل عالم الإنسان) فالدافع لهذه القطط إلى الشارع والتشرد ، هو السبب نفسه الذى يدفع الإنسان إلى التشرد (ولماذا لا تكون الظروف التى تدفع قسماً من البشر أحياناً إلى ترك منازلهم والعيش فى الشارع هى نفسها التى تلجئ بعض الحيوانات إلى هذا المصير ؟) .

إن الكاتب يسوق صورة القطط ليدلف منها إلى الفقر فى عالم البشر، ويتمادى فى استمداد صورة أخرى من عالم الحيوان ، ترتبط بالصورة الأولى فى الشارع وتدفع بالفكرة إلى الاكتمال وحدث القصة إلى التنامى (عندما أبصرت سرباً من الكلام يندفع إلى الشارع من أحد الأزقة المظلمة) وإذا دلل الكاتب على التشرد بعالم القطط فإنه بعالم الكلاب يدلل على مصدر الطعام (كانت تتقدم بانتظام

إلا ما كان من بعض الزمجرة هنا وهناك فى أحيان متفرقة ، وذلك إذا تداعى أكثر من كلبين على نفس القمامة) ويتجه إلى المقارنة بين الفقر والغنى (كنت استرجع أيضاً حكايات الكلاب الغربية، الكلاب أيضاً منها شرقية ومنها غربية) فهذه فى العالم العربى تختلف عن كلاب أوربا ، وبذا يشير إلى الفقر لدينا من خلال حرفية فى الصياغة والبناء القصصى (والكلب الغربى مثل الإنسان الغربى وزيادة ، لأن حقوقه أعظم من واجباته) وإذا كانت هذه المقارنة على الإجمال فالكاتب يعود إليها بالتفصيل الذى يستوفى جوانبها (وقد سمعنا وقرأنا عن جمعيات الكلاب ومعارض الكلاب وعيادات الكلاب وحمامات الكلاب ، وصالونات العناية بتسريحات الكلاب والأسواق الخاصة بأطباق الكلاب وحلوياتها ....)

وبهذا كانت المقارنة قاسية بين الشرق والغرب ، وقد فهم القارئ ما تتمتع به الكلاب فى عالم الأغنياء وما تقاسيه فى عالم الفقراء ، وبذا أضافت هذه الصورة إلى سابقتها، ولم تكن مجرد عرض لمواقف من عالم الحيوان ، لأن الكاتب بذكاء شديد بين فى كل واحدة منهما جانباً يخص البشر ويشارك هذين العالمين مأساتهما ومن عالم القطط والكلاب يدلف الكاتب إلى عالم الإنسان ليرينا الفقر فى صورته القاسية المؤلمة (وفجأة جفلت الكلاب دفعة واحدة ، وانطلقت تعدو فى كل صوب٠٠ لكننى ما أزال أسمع أصوات بعضها . لم يكن نباحاً خالصاً ، بل هو أقرب إلى الشكوى والأنين) فلا شك أن تفسير الأصوات بالشكوى والأنين يحمل فى طياته حاجة الكلاب إلى الطعام ونصبح بعد ذلك وجهاً لوجه مع عالم الإنسان الذى بلغ حداً فى الفقر لا تنقله الكلمات (فما هى إلا لحظات حتى برزت إلى عرض الشارع ثلة من الأشخاص تبين بعد العد أنهم أربعة أفراد ، كانوا ما زالوا يطاردون الكلاب وينعتونها بأقذع الأوصاف) ولأن الحدث لا يمكن توقعه أخذ الكاتب يتدرج فى الإفصاح بالحدث عند هذه النقطة تجعل ظنه أولاً : (

قلت لعلهم سكارى غادروا إحدى الحانات) ومن خلال هذا التوقع يعرض لنا الكاتب نقده لبعض صور المجتمع من خلال الحانات ومرتادیها ، وهذا يحمل فى طياته صورة البذخ أو ربما مراعاة لعالمهم بجوار إهمال عالم الفقراء والمحتاجين فى صورة ساخرة تهكمية (فى المدينة ثلاث حانات مرخصة قال الرئيس ذات يوم إنها عنوان الحداثة والديمقراطية لأننا بذلك لن يؤذى من لا يحرم لذة الخمر على نفسه) .

ويعرض الكاتب صورة أخرى للمجتمع فى مقابل الفقر أو هى ناتجة عنه (لكن فى المدينة أيضاً مواخير للبغاء وحانات سرية) .

وبذا وضع صورة هذه الحانات والمواخير على أنها حقوق أمام الفقراء الذين ضاعت حقوقهم يجعل تضخيماً للفقر وإظهاراً لبشاعته، ومدى ظلم المجتمع للفقراء وإغفالاً لحقوقهم، ويتساءل متدرجاً على عادته فى الإفصاح عن الفكرة عندما يعود للشارع وما يحدث فيه (فهل جاء هؤلاء السكارى من مثل تلك الحانات؟) ، ولكن يتضح عدم صحة هذا التوقع (كانت الأسئلة ما تزال تنتج فى ذهنى وتتناسل فى مخيلتى لما رأيت أولائك الأشخاص الأربعة ينبشون أكياس القمامة فغيرت رأيى) ويفصح عن الحقيقة المؤلمة ويجعلنا وجهاً لوجه مع بشاعة الفقر (فهاهم الأشخاص الأربعة ينبشون أكياس القمامة كيساً كيساً بحثاً عما يأكلون) فليس هناك أشد فقراً من هذه الصورة التى شارك فيها الإنسان كلاب الشوارع طعامهم وأكل من نفايات المجتمع الذى لم يعر الفقراء أى اهتمام .

(فلم يكن من بد من أن ترتفع عقيرة الإنسان دفاعاً عن قوت يومه أو ليله) وبذا أجرم المجتمع فى إهمالهم حتى وصلوا إلى هذه الدرجة التى عبر

عنها الكاتب بالعرض حينا والسخرية والتهكم حيناً آخر، وخاصة عندما تكون هذه النفايات نتنة عفنة (لا يفعلون أكثر من التماس حاجتهم من الطعام ، ولو فى مثل هذه القمامة التى تزكمنى رائحتها .... واتقزز حتى من منظر الأكياس البلاستيكية السوداء المطروحة على جنبات الشارع).

والكاتب إلى هذا الحد يكون قد عالج صورة الفقر فى المجتمع ونجح فى إيصال فكرته بالرثاء لمصير هؤلاء التعساء الذين غفل عنهم الجميع ، على الرغم من تحلى المجتمع بالشعارات الزائفة فى مراعاة الحقوق فجاء النص الأدبى (نتيجة تفاعل واندماج تم داخل المبدع حول موضوع دلف بعنف إلى عقله ووجدانه) [١] نتيجة لما شاهد حوله من أوضاع نقلها من الواقعية التى تمثلت من احساس الكاتب الذى (يصور الواقع كما يراه الفنان ببصيرته) [٢] .

٣ ـ السفر إلى أوربا :

نظراً لقرب المغرب من أوربا فقد رغب بعض الأشخاص فى السفر إلى أوربا بوجه عام وعلى نحو خاص إلى أسبانيا وفرنسا وإيطاليا .

وبما أننا نتعرض لدراسة القصة المغربية فنلاحظ أن السفر إلى أوربا سمة من سمات المجتمع المغربى عكسته القصة فى مجموعة : (تحديق فى الفراغ) وكان الدافع إليه البحث عن الرزق ، ويمثل أملاً عند العديد من أبناء المغرب وله طرق عديدة من الوساطات وعن طريق المال حتى يستطيع الشخص أن ينال فرصة السفر إلى أوربا ، ويعد هذا ملمحاً اجتماعياً تجب الإشارة إليه

(١) عبد اللاه محمود حسن محروس (دكتور) فى : (الشعر لا يزرع من أوراقه ــ تعليق على مشروع الحداثة فى الأدب) ط مطبعة الوفاق الحديثة بأسيوط سنة ٢٠٠٢م ص ٨٢ (بتصرف)

(٢) سيد حامد النساج (دكتور) فى : (تطور فن القصة القصيرة فى مصر) ط دار المعارف بمصر طبعة ثالثة سنة ١٩٨٤م ص ١٩٣ .

وهو ما جسدته قصتى (علال يحلم) [١] و(القرار الصعب) [٢] .

ففى قصة : (علال يحلم) يرينا الكاتب من خلالها الشخصية الرئيسة (علال) يحلم بأن يشترى نصيب أخويه فى الأرض ليصبح من كبار فلاحى القرية ويعرض الأمر على أسرته (قال علال وقد فرغوا جميعاً من تناول العشاء : " اسمعوا . هؤلاء أعمامكم الخمار وإدريس وحماد يعتزمون بيع نصيبهم من الأرض هذا ما سمعته اليوم فى السوق) وتكون لديه الرغبة فى أن يشترى هو أنصبتهم خوفاً من أن يسرع من يتربص بالأرض ليشتريها (يجب أن نجمع الفلوس لشراء نصيبهم من الأرض إذ لم نبادر فهذه فرصة "الجيلالى" ولد حيدة السانحة) ، وعند ذلك لابد من تدبير الثمن (وكيف نحصل على الفلوس ؟) ومن هنا تأتى فكرة السفر (فاسمعوا : لقد التقيت "حميد" ولد برقة ووعدنى بتأشيرة السفر إلى أسبانيا) ويكون الغرض هو الحصول على المال (وما إن أصل إلى أسبانيا حتى أبدأ فى جمع المال) وبه يحاول تحقيق حلمه فى شراء الأرض (وطبعاً أعود فى الوقت المناسب لشراء نصيبهم قبل أن يبيعوه للغير) .

وبهذا يتضح السفر إلى أوربا والغرض منه تماماً من خلال حركة وحوار شخوص القصة، ويوضح نظرة المجتمع المغربى إلى السفر كذلك، وللسفر مشكلاته وتضحياته وذلك يتضح فى قول الزوجة : (وفى حال ما إذا تأخرت التأشيرة وأصر إخوانك على بيع أرضهم ؟) . ويأتى رد الزوج الذى يوضح ما ترسخ فى المجتمع نحو السفر إلى أوربا (التأشيرة لن تتأخر بإذن الله ، ألا تسميعن عن " حميد " ولد برقة؟ وعندما أصبح فى أسبانيا تكون لى اليد الطولى عليهم ، وإذا طلبت منهم الانتظار انتظروا) .

---

(١) مجموعة (تحديق فى الفراغ) ص ٣٩ .
(٢) السابق ص ٧١ .

وفى قصة (القرار الصعب) [١] .

نرى أثر السفر على الأسرة ، ومعاناة البعد عن الأهل ، ويجعل الكاتب قصته من خلال رسائل عثر عليها (وفيما يلى الرسائل كما عثرت عليها ، بدون زيادة ولا نقصان) وهى طريقة فى البناء القصصى تكون قالباً يفرغ فيه الكاتب أحداث قصته، وهى توضح طريقة تتابع يستطيع الكاتب أن يوصل فكرته إلى القارئ من خلالها .

الرسالة الأولى :

وفيها يوضح مكان المرسل وتاريخ الأرسال (" ميلانو "[٢] فى ١٩٩٠/١٠/١٥) وهى مرسلة إلى الزوجة (عزيزتى سعيدة) ، وهى تخبر بالوصول وتصور تداعى الذكرى فى نفس الغريب (اليوم وصلت إلى ميلانو ولك أن تتصورى مبلغ التعب الذى أشعر به ، قبل يومين كنا معاً ، هل تتذكرين كم كنا بخير هل تتذكرين كل تلك الأوقات الجميلة فى كنف الأهل والأحباب ؟ هل تتذكرين كم سررنا ، وكم ضحكنا) وهو يدعوها للتذكر لأن الذكرى فى الغربة هى زاده (أنا أتذكر كل التفاصيل والجزئيات٠٠٠ التذكر زادى هنا ، ومنه يقتات الوجدان) ويحاول إشراكها معه (لا شك أنك تتذكرين كل ذلك) وفى الغربة يكون الشوق (أنا هنا، لكن قلبى وعقلى معك . وعينى على موعد عودتى) والغربة قاسية وربما كان العمل هو التسلية عن عذاب البعاد والغربة (يوم الاثنين المقبل سأباشر العمل ، فقد يساعدنى على نسيان غربتى) ولكن قد تكون الغربة أيضاً باعثاً لهواجس تهدد الأسرة (ولست أدرى لماذا كان الشك يساورنى فيك٠ لماذا

---

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٧١ ٠
(٢) مدينة فى إيطاليا .

كنت أراك أملاً بعيد المنال) ولا شك أننا من هذه الكلمات نفهم أنه فاز فيها بسبب أموال العمل فى الخارج وفاز بها رغم ما كان حولها من أمور لم تساعده العجلة على استجلائها (كنت أسمع بعض الأحاديث ، لكن اليأس لم ينتصر على رغبتى) وهذا كان قبل الزواج (المهم أنها مرحلة من الصبر مضت . فأنت الآن زوجتى من قبل خشيت أن أفقدك . أما الآن فأنا على يقين أن الشوق إلى يداعبك) والكاتب هنا يلمس الفكرة برفق ويجعلها بين الكلمات وتكون الغربة مؤججة لما كان فكرة غير ناضجة بل مرت بالذهن وتغلب عليها (أنا على يقين أنك تضعين صورتى قبالتك ، فى غرفة النوم ، وتتطلعين إليها باستمرار . أنا أيضاً صورتك أمامى) .

وتعد هذه الرسالة أطول الرسائل التى عرض الكاتب من خلالها قصته وتدور الأحلام فى مردود الغربة المرتقب لعل ذلك يرضى الزوجة (أنا أريد أن تكونى زوجة بمعنى الكلمة ، زوجة لها بيتها الخاص المستقل تدير شئونه وتتحمل وحدها مسئوليته) ولكن تطل الشكوك مرة أخرى ويكون مبعثها القلق والبعاد عندما تتأجج فى نفس الزوج علامات من الماضى (لا أدرى لماذا قلت لى ذات مرة : " لابد أن يزورك أصدقاؤك فى البيت " لكننى الآن عرفت أن المرأة المتفانية فى خدمة بيتها معنية بسماع عبارات الشكر والتقدير من الآخرين) وفى الوقت نفسه يغطيها الأمل فى الغد المشرق (الأيام تمر بسرعة ، ويجب أن ننجب أطفالاً يملأون حياتنا بالسعادة والهناء) ويبقى الود والشوق وهو ما يظهر فى ختام الرسالة (شوقى الحار، وإلى تواصل قريب . حبيبك عمر) .

الحقيقة أن الكاتب لا يصرح علانية ببعض نتائج الغربة على الأسرة التى تكون أحياناً فجة إذا ما صرح بها ولكن يتطلف فى عرض الشك وما يمكن أن تجلبه الغربة من جفاء وأحياناً انحراف .

وتأتى الرسالة الثانية من (ميلانو فى ١٨/١٠/١٩٩٠) إلى أخيه "رشيد" ولعل تأخيرها عن الأولى ثلاثة أيام لأن المشكلة التى تدور حولها القصة هى الزوجة ، لأن ارتباط الزوج بأسرته طاغ فى الرسائل وواضح (وأنا أكتب إليكم بعد رجوعى إلى البيت مباشرة من جولة فى المدينة ، غداً سألتحق بالعمل) ويعرض ما يعانيه (أكتب إليك وأنا أشكو من إرهاق شديد وإعياء شامل ربما هى مقدمة الإصابة بنزلة برد) ويتضح ارتباطه بعائلته وارتباطها به من قوله : (لا تقل شيئاً لأمى) فحرصه على ذلك يوضح قلق الأم وتعلقها به ، وهى سمة من سمات الأسرة العربية، وتتوالى العائلة فى الرسالة (سلم على الوالد والوالدة ، وعلى خديجة ونعيمة وبلغهم أشواقى الحارة) ويوضح ما للأسرة من نصيب فى ثمرة هذه الغربة (أعدك من الآن بتوفير الظروف المناسبة لإتمام تعليمك الجامعى فى الخارج٠ لولا أننى أريدك أن تنجح فى دراستك لدبرت أمر التحاقك بى هنا للعمل فى أوراش البناء مثلى) ويوضح الكاتب مشقة العمل وخطورته (أعرف أن هذه رغبتك ، ولكن صدقنى إنه عمل شاق ومحفوف بالمخاطر٠ البارحة أخبرنى بعض الزملاء أن أحد العمال المصريين سقط الأسبوع الماضى من سطح عمارة فمات) وهذا يوضح الرغبة فى العمل فى الخارج مع مخاطره ومشقته ، ويعود إلى الشك مرة أخرى (كتبت إلى سعيدة " فلا داعى لإزعاجها ، وإذا رأيت شيئاً غير طبيعى كن أول من يخبرنى) .

وتتوالى الرسائل ، فتأتى الرسالة الثالثة من (ميلانو فى ١٠/١/١٩٩١) وهى كما يشير التاريخ الذى حرص على توضيحه الكاتب وله مغزى فى بناء القصة وفكرتها .

(عزيزتى سعيدة : أكتب إليك للمرة الخامسة ولا جواب منك يطفئ الغليل ما الذى حدث بعدى ؟) فإذا كانت الثانية التى عرضها الكاتب فقد أهمل الإشارة

إلى ثلاث قبلها بعد الأولى ، وبذلك يدلل على طول المدة الزمنية وكثرة الرسائل وقد فعل ما يشبه الحذف فى البلاغة ، فأدى التاريخ هذه المهمة ، وفى الوقت نفسه وضح التراكم الزمنى وماله من مدلول قصصى٠ فالزوج حريص على التواصل والزوجة لا ترد ، فلا شك أن هذا مقصود من الكاتب مع أشياء أخرى تفصح عنها القصة ، (هل تنتظرين أن تأتينى الأخبار من غيرك ؟ هل يعجبك ان يتصل بى الآخرون ويخبروننى، وتظلين أنت هكذا صامتة ؟) .

وربما ترتب على غيابه مالا ترضاه الزوجة (قد سألتك مراراً إن كان قد أزعجك أحد ، أو أعوزك شئ ، ألم تتوصلى بالنقود . لقد اتصلت بهم أكثر من مرة ووبختهم . ولست أدرى هل ثمة مشكلة تقتضى الاعتذار) وبهذا يمكن أن نفهم أن غياب الزوج هو المشكلة وهو الجانب السئ للسفر إلى اوربا فى أثره المباشر على الأسرة .

ويكون التوقيع مخالفاً للرسالة الأولى التى كان فيها : (حبيبك عمر) أما هنا فهو : (الغريب المعذب عمر) .

وتأتى الرسالة الرابعة وهى من (الدار البيضاء فى ١٩٩١/١/٢٠ من أخيه ، وتوضح تفاقم المشكلة وتصاعد الحدث (يؤسفنى أن أخبرك أن زوجتك " سعيدة " غادرت المنزل البارحة) ويحيل على الماضى (منذ مدة وهى تبدى بعض التصرفات الغريبة . لقد لمحت لك إلى ذلك فى بعض رسائلى السابقة وكنت أود أن أحدثك بالتفصيل فلم أشأ أن أتسرع شاورت أمى فى الأمر ، وهى التى حذرتنى أن أخبرك بما كان يحصل فى الحين) وهذا يحيل إلى ذهن القارئ ما يكمن وراء كلمات الأخ هذه وفى الوقت نفسه يحيل إلى دراية الزوج الغريب ببعض أمور زوجته (ولحد الآن لا أعرف حقيقة ما حدث بالضبط . أنت بالتأكيد أكثر دراية

منى ..... المهم الآن أنها غادرت المنزل) فالكاتب فى بنائه القصصى يتميز بحرفية عالية حيث يلتقط من الخيوط الفنية ما يلقى الضوء على الحدث دون إطالة بل فى تلميح تشع منه دلالات إيحائية غير محددة ، وهى سمة من سمات القصة القصيرة.

وتتابع الرسائل من الدار البيضاء فيرسل الأخ إلى الزوج فى غربته فتأتى الرسالة الخامسة فى (١٩٩١/٣/٩) أى بعد شهر وثمانية عشر يوماً، وهى مدة كافية لمعالجة الأمر وانعكاس الحدث وأثره على الأسرة . فنرى محاولات العائلة لرأب الصدع ولكن بدون فائدة (أخى عمر : القضية ليس فيها جديد، فقبل يومين فقط ذهب أبى عند عمى (البشير) رفقة عمى (الميلودى) والسى (موسى) صهره والفقيه " الهلالى ") ولعل كثرة العدد تدل على الحرص فى معالجة ما نتج عن الغربة والبعاد والعمل فى الخارج ولكن تكون النتيجة مخيبة (واستقبلهم الحاج " البشير " أحسن استقبال . لكنه هو أيضاً يبدو مغلوباً فقد ذكر لهم أنه لا سلطة له عليها ، ولا طاقة له بها ، وأنها ربما تنوى مغادرة منزل أسرتها نفسه) والحفاوة من الحاج البشير توضح أن لا دخل لأسرة الزوجة فى المشكلة وأنها تعود للزوجة بعد غياب زوجها .

والرسالة السادسة تصل بالحدث إلى الذروة من الزوج إلى أخيه رشيد فى (١٩٩١/٥/٢٠) وهى كذلك مدة كبيرة كفيلة بأن تتفاعل فيها المشكلة، وتكون نتيجة ذلك (لقد تحدثت كما تعلم مع الوالد والوالدة وكان لابد من اتخاذ ذلك القرار الصعب) والقرار الصعب حسب ما رأى هو الطلاق الذى عنون به الكاتب قصته .

وتأتى الرسالة السابعة من الزوجة ليس إلى الزوج وإنما لصديقتها " رجاء " فى (١٩٩١/٥/٢٨) وتوضح ما بينهما من تواصل على رغم القطيعة

مع زوجها (قرأت رسالتك الأخيرة كالعادة بشغف كبير ، وكم سررت بمشاعرك تجاهى ، وعواطفك الجياشة نحوى ، وعباراتك الرقيقة الجميلة ، وعندما أقول إنك أعز صديقة فإننى لا أوفيك حقك) فهذا الاهتمام والإطراء كان خارج الأسرة وللصديقة وإذا أشارت الرسالة إلى النصح السابق من الصديقة فإنها ترفضه (وما تقصيدنه ينتمى عندى إلى الماضى، أنا الآن مستقرة كما وصفت لك فى الرسالة السابقة) وهى لا تريد زوجها (لقد غيرت رقم هاتفى) وإن بقى الزوج على مراسلته لها (لكن ساعى البريد ما زال يحمل إلى رسائله) .

وتؤخ ختام الرسالة فى (٢٠٠٤/١١/١٤) وهى دلالة على مرور الزمن دون تغيير وهو المغزى من تاريخ أول الرسالة وكتابتها وتاريخ نهايتها قبل أرسالها ويصبح الزمن بلا معنى وتكون هذه إحدى نتائج السفر إلى أوربا والعمل فى الخارج كما وضحت القصة من خلال رسائل شخوصها دون تدخل مباشر من الكاتب .

٤ ـ الزواج من الأجنبيات :

وأحياناً يكون السفر إلى أوربا دافعاً للزواج من الأجنبيات ويكون ملمحاً من ملامح المجتمع المغربى لأنه وجد عند الكاتب وعند غيره[١] ونجد ذلك فى قصة : (العودة) [٢] .

ويكون " سمير " الشخصية الرئيسة الذى (باع أبوه ما خلفته سنوات الجفاف من قطيعه وقطعة الأرض التى يمتلكها ، ثم بدا له أن يرحل إلى المدينة فرحل ، وعبر مسار طويل مرهق وغامض ملئ بالوسطاء ، تمكن من إرسال ابنه

(١) أحمد المدينى فى قصة : (يوميات المرأة الوحيدة) من مجموعة (رؤيا السيد سين) ط دار النشر المغربية طبعة اولى سنة ١٩٩٦م ص ٩٩ .
(٢) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٥٣ .

(سمير) للعمل فى " إيطاليا ") ويرتبط سمير بوطنه المغرب (وسمير فى كل صيف يعود إلى الوطن) ولكن هذا لم يمنعه من الزواج بأجنبية بعيداً عن بنى جنسه (ومنذ خمسة أشهر ، تزوج سمير أيضاً من مهاجرة فى إيطاليا ، قدمت صحبة عائلتها من بلغاريا واشتغلت مثله فى محل لبيع الملابس الجاهزة) والكاتب يحرص على وصف هذه الزوجة (وهى فى الواقع سيدة مطلقة ، أميل إلى البدانة ، وتبدو أكبر منه) ومحل تندر من الإيطاليين (كثيراً ما كان يسمع الإيطاليين يسخرون منها ويعيبون هذه البدانة الزائدة فيها) بل وأصدقاؤه كذلك (سمع صديقه " بوزكرى" نفسه يقول يوماً " هذه تصلح عندنا شيخة " ، وغاظه ذلك) وربما تكون هذه الإشارات لتوضيح أن " تاتيانا " لا تتفوق على بنات المغرب، ويكون الدافع لزواجها (كان سمير يحب وسامة البدينات وكان دائماً يقول : " المرأة البدينة قد لا تكون جميلة بالقدر الكافى لكنها جذابة") ويحرص سمير على إخفاء أمر الزواج من " تاتيانا " (وحرص أيما حرص على أن يظل الأمر طىَّ الكتمان ، ولذلك كثيراً ما رجاهم ألا يبلغوا أباه أو أحد من أفراد أسرته) وهذا يوضح رد فعل المجتمع المغربى أمام هذه الزيجات التى قد تجلب غضب الأسرة ، ولكن هو يمكن أن يلطف الجو إذا عرف الخبر منه (أراد أن يكون هو أول من يخبرهم ، وأن يكون ذلك بعد أن يقدم عليهم فى الصيف المقبل) وتكون القصة بذلك وضحت ملمحاً اجتماعياً وهو الزواج بالأجنبيات .

٥ ـ العادات والتقاليد :

والقصة المغربية فى مجموعة : (تحديق فى الفراغ) تعكس عادات المجتمع المغربى وتقاليده ويمكن أن نرى ذلك فى قصة (العودة) [١] التى تصور عادة يحرص عليها معظم المجتمعات العربية وهى الحرص على إقامة حفل تحت

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٥٣ .

مسمى (الختمة) يجتمع فيها الأهل والأقارب والجيران والفقراء مع أهل القرآن ويتلون القرآن ترحماً على الميت فى ذكراه كل عام وتقام الموائد فى ختام الجلسة بعد (الدعاء) ثم زيارة الميت ويلتقط الكاتب هذه العادة (وسمير فى كل صيف يعود إلى الوطن، وله فى كل مرة يعود فيها ليلة ذكر يدعو لها الفقهاء والفقراء ، يترحم على أمه ويدعو لها) وتأتى بعد ذلك زيارة قبر الأم (وفى الغد يزور قبرها فى القرية) ويتبع ذلك زيارة الأهل والأحباب (ويمر على الأهل والأحباب هناك) ولا شك أن زيارة موطن النشأة فى القرية عادة مشتركة للمجتمعات العربية حرص الكاتب على إبرازها ، ثم يعود إلى منزل الأسرة فى المدينة وتظهر التقاليد فى جلسة الذكر هذه من قول الكاتب (وأدرك "بوعروف" أن القوم منشغلون بالتهام أطباق العشاء . وبعد لحظات لم يعودا يسمعان بشكل واضح سوى كلمة واحدة هى " آمين " يرددها الحاضرون جميعاً أيقن "بوعروف" أن الأمر يتعلق بدعاء الختم) وبعد ذلك يتفرق المجتمعون (وأن الجميع سينفض عما قليل فيتفرق المدعوون فى الدروب المحيطة) وعلى ذلك تكون هذه العادة واضحة بكل جوانبها من الذكر والدعاء وقراءة القرآن والطعام ، ومن يجتمعون فيها والغرض من قيامها . والكاتب قد أجاد عندما صور ذلك من خلال البناء القصصى دون تدخل مباشر ، وجعل الوصف والحوار وحركة الحدث يؤدون دور بناء الفكرة كما يحدث فى واقع الحياة . هذا وإن جاء البناء غير مرتب فبدأ من قمة الحدث ثم ساق التفاصيل عن طريق الاسترجاع.

ظاهرة تدخين السيدات :

ويرصد الكاتب رفض المجتمع المغربى لتدخين السيدات ، ويظهر فى صورة غريبة ومنتقدة فى المجتمع المغربى سواء كانت لأهل المغرب، أو الأجانب الوافدين عليه .

ونرى الشكل الأول فى قصة (فى الطريق) [١] ويجعل النقد على لسان فتاة تعمل فى خدمة منزل وتحكى عن مخدومتها : (فى أحد الأيام دخلت إلى الحمام لأنظفه كالعادة ، فوجدتها مستلقية فى حوض الحمام وهى تدخن) وتظهر الدهشة والاستنكار لها السلوك (نعم إنها تدخن السجائر مثل الرجال) ويكون الطرد أخف وطأة من الدعوة إلى التدخين (وهل تدرى ماذا قالت لى ؟ ــ لا شك أنها طردتك من الحمام .

ـــ ليتها فعلت ذلك يا عمى ، بل حاولت أن ترغمنى على التدخين بدورى) .

والشكل الثانى إنكار التدخين على الوافدين من الأجانب ، لأن المجتمع يستهجن ذلك ، وهو ما جاء فى قصة (العودة) [٢] .

ذلك عندما ترك (سمير) زوجته (تاتيانا) البلغارية بمفردها فى مقهى (الأمل) ليتحدث مع صديق له ، وعندما طال الوقت (بدأت "تاتيانا" تتململ فى جلستها . لا شك أنها كانت ترزح تحت ثقلها الذى ضغطها فوق كرسى حديدى قاس) ونتيجة هذا الملل تلجأ للتدخين (سحبت سيجارة من علبة وضعتها للتو أمامها فوق الطاولة وأضرمت النار فى شعور القلق الذى بدأ ينتابها ، ثم نفثت سحائب دخان تابعت تصاعده البطئ بنظرة زائفة) والكاتب بذلك يستعرض عادة التدخين بالتفصيل ثم يعكس رد فعل المجتمع أمامها (وبينما هى تغالب شعورها بالفراغ وقلق الانتظار، إذ بجماعة من الناس تقف أمامها مشكلة نصف دائرة) فهذا التجمع هو تطلع لأمر غريب ملفت للنظر (اخترقتها سهام عيونهم المصوبة نحوها، وصفعتها أعناقهم المشرئبة إليها فانتبهت مذعورة) وتطلب "تاتيانا" من النادل أن ينقذها (واستدارت نحو النادل دون أن تنبس ببنت شفة ، لكنها كانت

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ١٧ .
(٢) مجموعة : تحديق فى الفراغ ص ٥٣ .

فى أعماقها تستصرخه) وقام بدوره (ولم يدخر جهداً فى طردهم) ويخفف من وطأة الدهشة من التدخين عندما يجعلهم من القرويين الذين يعدون أشد تمسكاً بالعادات (كانوا بضعة قرويين ..... ولا شك أنهم ما رأوا قط امرأة تدخن) وبذلك يوضح الكاتب عادة من عادات المجتمع فى رفضه عادة تدخين النساء .

وقد نجح الكاتب فى تصويره للمجتمع وساعده على ذلك القصة (التى تعد أقدم ألوان الأدب ، لأنها تصور حياة الناس وأسلوب معيشتهم، والكشف عن ميولهم وما يقدسونه من مبادئ ويسيرون عليه من عادات)[١].

(١) فتحى الأبيارى فى : (عالم تيمور القصصى) ط هيئة الكتاب المصرية ١٩٧٦م ص٢٣ .

المـــوازنة

أولاً : الموازنة الموضوعية فى القصة :

باستعراض ما تمت دراسته فيما سبق من البحث نحد فروقاً جوهرية بين القصة السعودية والقصة المغربية من خلال مجمـــوعتى : (خيمـــة المحبـــة) [١] و (تحديق فى الفراغ) [٢] نتناولها برؤية (أن الناقد لم يعد خصماً للمبدع بمقدار ما أصبح مشجعاً له ، وأداة تعينه على التطور والتجديد) [٣] .

فنلاحظ بداية عنوان كل مجموعة يعكس نظرة كاتبها فنرى كاتب (خيمـــة المحبة) نظرته إلى المجتمع وكأنها خيمة كبيرة تضم المجتمع بكامله، ونلمح من كلمة محبة التوافق والحياة الوادعة الهانئة ، وإذا عالج بعض المشـــكلات التـــى تعكر صفو هذا المجتمع فغالباً ما يتم التصالح فى نهاية القصة وتكـــون خاتمـــة القصة سعيدة أو داعية إلى الأمل والإقبال على الحياة، وهو ما نراه مثلاً فى قصة (رحلة الحنان) [٤] عندما يتزوج الأب ويهمل الزوجة الأولى وابنها ولكن عندما يكبر الابن ويتوفر له الرزق يعول الأسرة وينظر إلى الحياة نظرة حانية . والكاتب أولى الأسرة عناية كبرى وعالج بعض مشكلاتها المحلية ، من عدم تزويج البنت طمعاً فى راتبها مثل قصتى (الانتظار الطويل) [٥] و (أوراق الربيع) [٦] .

---

(١) للكاتب (محمد منصور ربيع المدخلى) مصدر سابق .
(٢) للكاتب : (مهدى لعرج) مصدر سابق .
(٣)على شلش (دكتور) فى : (نشأة النقد الروائى فى الأدب العربى الحديث) ط مكتبة غريب بالقاهرة ١٩٩٢م ص ٥٧ .
(٤) (خيمة المحبة) ص ٥٠ .
(٥) (خيمة المحبة) ص ١٩ .
(٦) السابق ص ٢٢ .

وعالج مشكلة غلاء المهور الذى يقف حائلاً دون زواج الشباب فى قصة: (القرار وأفراح العمر) [١] ، وأشار إلى ما يوجد فى مجتمعه من الزواج المتعدد وأضراره كما فى قصة (أمحرومة هى) [٢] أو الحرص على إنجاب الذكور مع انه فى بعض الأحيان يكون الولد عاقاً لوالديه وهو ما نجده فى قصة : (رياح وأشرعة) [٣] أو عندما يتفانى الأب ويجد ويكدح فى تربية أولاده ويدمر الولد جهد والديه بأن يكون رد فعله الإهمال والفشل والفصل من الدراسة كما فى قصة: (الأمل الضائع) [٤] ولا يغفل الكاتب عن بعض النماذج الإيجابية فى الأولاد مثلما جاء فى قصة (الدائرة المضيئة) [٥] عندما ترفض الشخصية الرئيسة الزواج بعد وفاة والدها وتحرص على تربية أخوتها وفى النهاية تبتسم لها الحياة وتتزوج بدورها ولا تتخلى عن رعاية أمها وتأخذها معها فى بيت الزوجية ، وبذلك احتلت الأسرة مساحة كبيرة فى المجموعة وكان الكاتب معالجاً لقضاياها من زوايا متعددة وكان فى تصويره المجتمع وأنشطته مبتهجاً بوطنه فوجدت عنده قصص تدور حول بعض المظاهر الاجتماعية بنظرة راضية تحاول أن تظهر ما لدى المجتمع من ميزات وصفات طيبة فمثلاً قصة : (صور من القرية)[٦]، تصور الدفء الاجتماعى فى حياة أهل القرية والعمل والتعاون والمشاركة، وكذا فى قصة (نشيد السنابل) [٧] التى أرانا الكاتب فيها عمل البحارة والصيادين والسعادة التى يشعرون بها من خلال أعمالهم هذا وإن ختم بنقد ما طرأ على

(١) السابق ص ٤٢ .
(٢) السابق ص ٢٦ .
(٣) السابق ص ٥٨ .
(٤) السابق ص ٦١ .
(٥) السابق ص ١٥ .
(٦) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٣٩ .
(٧) السابق ص ٤٦ .

المجتمع من الاستسلام للكسل وترك العمل والإقبال على الرفاهية ومظاهر الحياة الحديثة ، وفى مقابل ذلك لم ينس الكاتب أن يصور صنفاً من الناس شغلهم العمل والبحث عن الصفقات ونسوا أسرهم وأنفسهم وكان نتيجة ذلك التوتر والقلق ، وفى النهاية المرض والعياذ بالله كما فى قصة (السعادة عند الآخرين) [١] وتناول الكاتب حياة الموظف ما بين الإخلاص فى العمل كما فى قصة : (قراءة فى سجل الضمير) [٢]، أو التقصير كما فى قصة : (الإنسان ضمير مسئول) [٣] التى تصور قصور أداء المعلم مع خطر دوره فى المجتمع ، ولم ينس ما يتميز به المجتمع من تقاليد وعادات ولا سيما فى الأعياد ، كما فى قصة (لوحة الفرح) [٤] وأخيراً صور الكاتب الهجرة من القرية إلى المدينة والانبهار بها ولكن كان ذلك فقداً لألوان من السعادة فى القرية ولم يدركها الإنسان كما فى قصة : (أنات البئر) [٥] وعلى ذلك كان الكاتب كثير اللفتات والتناول لمعظم صور المجتمع وجاءت الكثرة القصصية لأن الكاتب تميز بقصر قصصه والتى كانت فى أغلب الأحيان صفحة واحدة وفى بعض الأحيان تكون نصف صفحة فقط مما ساعده على تناول موضوعات كثيرة ، لكن الملاحظ أنها تعكس وجهة نظر حانية وراضية ومتوافقة مع الحياة ؛ ويمكن أن نطلق على نهج الكاتب (الواقعية المتفائلة) (فبالرغم من أننا نرى الإنسان فى هذه الواقعية كادحاً متألماً يعيش تجارب حياتية قاسية إلا أنه متفائل) [٦] .

ولعل الرخاء الاقتصادى جعل قصص الكاتب مليئة بالكثير من العواطف

---

(١) السابق ص ٢٩ .
(٢) السابق ص ٥٣ .
(٣) السابق ص ٤٨ .
(٤) السابق ص ٦٤ .
(٥) السابق ص ٣٥ .
(٦) السعيد الورقى (دكتور) فى (اتجاهات القصة القصيرة فى الأدب العربى فى مصر) ط هيئة الكتاب المصرية طبعة أولى سنة ١٩٧٩م ص ٢٦٥ .

والنصائح سواء المباشرة أو غير المباشرة ، ولا نلمح فيها تصادم سواء بين أفراد المجتمع من خلال تصوير حياتهم ، أو من خلال السلطة التى لم يتعرض لها الكاتب إلا بصورة متعاونة كما فى قصة : (صور من القرية) التى نرى فيها شيخ القرية يجالس الناس ويتفاعل معهم ويتوسطهم فى المساء يفكرون فيما تحتاجه القرية ومحاولة إنجازه والذى تمثل فى بناء سد ترابى يحمى القرية من السيول ويوفر الماء للشرب والزراعة .

أما فى مجموعة : (تحديق فى الفراغ) فاختلف التناول لصور المجتمع تماماً ، فالعنوان يدل على النظر بشدة وهى حقاً نظرات تنقل وجهة نظر الكاتب ورؤاه ، وأما الفراغ فيدل على صعوبة الرؤية وعدم قدرتها على نقل شئ ، وهذا يوحى ضمناً بأن التحديق غير مجد وهى نظرة متمردة فاحصة ناقدة غير راضية بالواقع ، فى تلطف أحياناً وفى جرأة أحياناً أخرى .

وعكس الكاتب المشكلات التى تواجه المجتمع والتى تمثلت فى : (البطالة) الداء الذى يواجه معظم المجتمعات العربية ، فوجدنا البطالة مع الحصول على أعلى الدرجات العلمية (الدكتوراه) فى قصة : (الحقيبة) [١] والتى حرص الكاتب فيها أن يعالج المشكلة بلباقة عندما جعل الشخصية الرئيسة بيدها حقيبة تحرص على عدم نسيانها ، ويتوجه ليتسلم شهادة بالدراسات العليا من الكلية ، وهناك يقابل شخصاً يريد تسلم شهادة الدكتوراه ومن خلال الحديث نعرف أن صاحب الدكتوراه عاطل لم يستطع الحصول ــ على الرغم من شهادته ــ على عمل ، وفى النهاية يكون الحرص على الحقيبة غير كاف على المحافظة عليها وتصبح الحقيبة وما بداخلها لا قيمة لها وإن حرص صاحبها على الشهادة التى بداخلها ، لتشع عدة دلالات يتضح

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٦٣ .

منها مشكلة البطالة . وكذلك (حلم دائرى) [١] التى أرانا الكاتب من خلالها محاولة الشباب الحصول على عمل بكافة الطرق وفى النهاية يستغله أصحاب العمل الذين يجعلونه ينفق ما معه من مال بدلاً من أن يأخذ مقابلاً على عمله .

ويأتى بعد البطالة فى مجموعة : (تحديق فى الفراغ) (الفقر) وهو مشكلة تستحق الوقوف أمامها واختار الكاتب شخصية فتاة تعمل خادمة وأرانا من خلالها معاناة هذه الطبقة وما يقع عليها من ظلم ومعانة ، لافتاً النظر إلى واقع هؤلاء المهمشين ورثا لحالتهم ورأى أن هذا الفقر تسبب فيه انحراف مقاييس اجتماعية وعادات أصبح بها الأغنياء هم الجناة، وأن الفقر ربما دفع إلى الانتقام إذا لم نعالج أسبابه لينجو المجتمع من هذه المشكلة الخطيرة ملقياً باللائمة على المجتمع الذى تسبب فى إيجادها، كما فى قصة (فى الطريق) [٢] ووجدت أيضاً إشارات إلى هذه القضية فى قصة: (علال يحلم) [٣] عندما وصف الكاتب على لسان أحد شخوص القصة . ما يعانيه الفقراء من الحاجة والعوز ، وما يمارسون من أعمال لا تدر ربحاً مثل بيع الأكياس البلاستيكية أو سبب فقرهم من الترمل واليتم ، وكان الكاتب أشد تأثيراً وإلماماً بالفقر فى قصة (تحديق فى الفراغ) [٤] التى عنون بها مجموعته وهى من أجود قصصه التى تعالج قضية انتشرت فى المجتمع فصور الحاجة الشديدة التى أوصلت أصحابها إلى الأكل من القمامة.

ثم رأينا صورة من صور المجتمع المغربى وهى السفر إلى أوربا للعمل والبحث عن الرزق وما ينتج عن ذلك من مشاكل على الأسرة التى سافر عائلها وكذلك ما يمكن أن يتبع ذلك من الزواج بالأجنبيات . وأشار الكاتب إلى ما تحلى به المجتمع من عادات وتقاليد. ومن هنا نرى أن صورة المجتمع فى القصة المغربية

(١) السابق ص ٢٥ .
(٢) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ١٧ .
(٣) السابق ص ٣٩ .
(٤) السابق ص ٨١ .

تختلف تماماً عن القصة السعودية ، التى لم تشر إلى البطالة أو الفقر ، أو السفر للعمل فى الخارج ، وذلك لأن هذه الصور لا توجد فى المجتمع السعودى ، هذا وإن اشترك الكاتبان فى تصوير عادات المجتمع وتقاليده والتى اختلفت فى القصة السعودية عن المغربية .

فبينما المغربية تناولت ذكرى المتوفى وما يطلق عليه الذكرى السنوية بتلاوة القرآن ودعوة الجيران والأقرباء والفقراء وإقامة ولائم الطعام، وزيارة الموتى كما فى قصة : (العودة) [١] نجد أن ذلك مرفوض فى المجتمع السعودى ، وظهرت العادات فى المجموعة القصصية السعودية فيما يدل على السعة فى الرزق من خلال الاحتفال بالعيد فى الصلاة وزيارة الأقرباء وتوزيع المال والطعام على الفقراء ، كما فى قصة (لوحة فرح) [٢] وبذا عبر كل كاتب عن ما تحلى به المجتمع الذى يعيش فيه ونقل لنا من خلال قصصه صورة هذا المجتمع .

ثانياً : الموازنة الفنية :

وفيها نستطيع أن نرصد وجوه الشبه والاختلاف بين المجموعتين من خلال البناء القصصى الذى يوضح تناول الحدث وطرق تنميته ، وأشكال التتابع الفنى ، وبدايات القصص ونهاياتها واللغة والحوار .

البناء القصصى :

حفل البناء القصصى بوجوه شبه ووجوه اختلاف بين المجموعتين: (خيمة المحبة) و (تحديق فى الفراغ) .

---

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٥٣ .
(٢) السابق ص ٦٤ .

١ ـ البناء المتصاعد :

لاحظت من خلال الدراسة السابقة أن الكاتبين اتفقا فى البناء المتصاعد وهو يعنى : أن يبدأ الكاتب الحدث الذى غالباً ما يكون موقفاً أو قطاعاً من الحياة ـ وينطلق به إلى الأمام فى ترتيب وتسلسل سواء فى نمو الحدث أو زمانه . ويمكن أن نلاحظ فيه البداية والوسط والنهاية وهو شكل القصة التقليدية ، وقد يختلف فى بعض الأحيان ليعبر عن القص الحديث بمشاركة طرق أخرى مثل التوليف (المونتاج) والذى أخذته القصة القصيرة من وسائل العرض الأخرى فى الدراما وبذا فهى ليست تقليدية خالصة فى بعض الأحيان ، وأخذ البناء المتصاعد صورة : القصة تحت عنوان واحد .

ومن النماذج التى توضح طريقة البناء المتصاعد تحت عنوان واحد فى (خمية المحبة) : قصة : (الانتظار الطويل) [١] وفيها يبدأ الكاتب التقاط لحظة أو موقف يمثل قطاعاً من الحياة ، يعكس مشكلة ، ونرى فى البداية تمهيداً لذهن القارئ بالتلميح لمحور القصة (الشوق يبحر فى النفوس الناعمة ، والقلب أضناه التفكير والسفر .... ويطول الإبحار بلا مجداف أو دليل) هذه الفقرة إجمالاً لما سيأتى مفصلاً فى القصة وتعد تمهيداً له . وتشير إلى الأمل عند الفتاة فى الزواج والاستقرار، وهى الشخصية المحورية التى تدور حولها القصة، ولم يطلق عليها الكاتب اسماً لأنه يقصد القضية وأنها ليست خاصة بشخصية معينة ولكنها سلوك فى المجتمع وظاهرة فيه ، يريد الكاتب أن يظهرها بالتناول القصصى .

ونرى سمات الفتاة فى (النفوس الناعمة) ونرى القلق فى (والقلب أضناه التفكير) وينعكس الإحباط فى (ويطول الإبحار بلا مجداف أو دليل) ولا شك أن المقصود معنى العمر ومشوار الحياة التى لا تملك فيه الفتاة أدوات تساعد

(١) مجموعة (خيمة المحبة) ص ١٩ .

على تحقيق طموحها ، ويكمل المعنى نفسه قول الكاتب (الرياح شديدة ــ البحر طويل ــ والشاطئ ما زال بعيداً) .

ويتناول الكاتب المشكلة (تفوست الأشياء أمام الأب العتيق) فالأمور غير مستقيمة ويوجد خطأ فى مسلك الأب الذى عاش حياته ويريد أن يستمد استمراره من عمر ابنته ، ويمكن أن نلمح سبب رفض الأب فى (نظر مليا .... وهى تقتطف بعض مرتبها الشهرى) وموقف ابنته التى تكتم آلامها (لا لا شئ يا أبى الصمت ــ دموغ غزيرة مسكوبة) .

وبذا ممكن نرى المقدمة بداية ، والوسط فى الحيرة والقلق على المستقبل ولحظة التنوير فى خاتمة القصة (وهى ما زالت فى محطة الانتظار) وهى خلاصة المشكلة وحجمها .

فالكاتب سار بالحدث إلى الأمام ، ومعه الزمن ، واختفى المكان إلا أنه يلاحظ من حركة القصة فى عمل البنت ولابد أن يكون له مكان يمارس فيه ومكان الأسرة التى لابد أن يكون لها بيت تسكن فيه .

واللغة مباشرة فى الدلالة على الحدث واستطاع الكاتب أن يقتطف موقفاً من الحياة صوره من خلال تكثيف زمنى قصير فى استعراض معالمه هذا وإن شمل مرحلة من العمر يطول فيها الزمن سواء بوقعه وأثره أو امتداده .

وبذا تمثلت التقليدية بكل أبعادها فى عرض القصة ، وكان العنوان مرتبطاً بحدث القصة وهو يوحى بطول الانتظار لتحقيق الأمل فى الزواج . وجاء ذلك من خلال لغة موحية متضافرة اختار فيها الكاتب معالم رئيسة التقطها ليدلل على الحدث وامتداده دون أن يخوض فى تفاصيل أو إطالة واستخدم من الشخصيات عدداً قليلاً تمثل فى البنت وأبيها .

ويمكن أن نرى البناء المتصاعد تحت عنوان واحد فى مجموعة : (تحديق فى الفراغ) من خلال قصة : (علال يحلم) [١] ولكن بالطبع لا تتطابق مع القصة السعودية تماماً فالكاتب يتبع لغة هادئة متزنة توضح الموقف من مختلف زواياه وفى الوقت نفسه دون تفصيل أو إطالة تتنافى مع سمات القصة القصيرة وتكون البداية : (نظر " علال " إلى زوجته وولديه أحمد وهشام ، وهم جميعاً حول مائدة العشاء مساء يوم الأحد الذى يوافق انعقاد السوق الأسبوعى فى القرية ، فاعترته عاطفة أبوية جياشة، وسرت فيه قشعريرة هزت كيانه . فكان كلما رفع لقمة إلى فيه استرق النظر إلى ولديه ، ولاحظت " صفية " أن زوجها يود أن يقول شيئاً محتبساً فى صدره) هذه مقدمة توضح صورة أسرة من زوج وزوجة وأبناء ، يتناولون العشاء ، والأب يعول ومستقبل أبنائه وهو يقلقه ، وموعد انعقاد السوق الأسبوعى ، يدل على محاولة العمل لتأمين حياة الأسرة ، والزمن واضح فى المساء وموعد السوق ، والمكان المنزل فى القرية ، وكل ذلك من خلال المقدمة التى تشد انتباه القارئ ليعرف الشئ الذى فى صدر علال، ومن الواضح أن الكاتب على الرغم من لغته التى تستوفى وضوح حالة الأسرة وأفرادها ووقت اجتماعها ومكان إقامتها فإننا لم نشعر بالإطالة من خلال لغة هادئة معبرة ليس فيها تزيد ، ولعل الطعام والسوق يوحيان بدور الأب فى تدبير مستقبل هذه الأسرة ، والتبعة التى تقع على عاتقه ، وهذا هو محور القصة وحدثها الرئيس .

وينطلق الأب ليحقق أهدافه بأن يصبح فلاحاً كبيراً عندما يفكر فى شراء أرض أخوته (الخمار وإدريس وحماد) ويتقدم البناء فى البحث عن نقود وهو ما جاء على لسان الزوجة (وكيف نحصل على الفلوس ؟) ويكون الحل فى السفر للخارج (أسبانيا) ويتخذ الوسائل لتحقيق هذا الحلم فيسير الحدث إلى الأمام

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٣٩ .

متصاعداً (اسمعى ؛ الأحد المقبل سأبيع النعاج والبقرة والعجل) ويتخذ من الثمن طريقاً للسفر (النقود التى سأحصل عليها سأدفعها لحميد ولد برقة أتظنين أنه سيأتينى بالتأشيرة لوجه الله؟) وبذا يستمر الحدث فى التصاعد إلى الأمام ، (وجاء يوم الأحد المعلوم ، وباع علال ما يملك ، ودفع النقود لحميد ولد برقة ، ثم بدأ يعد الأيام) والكاتب يتتبع حدثه خطوة خطوة فى التصاعد ، ويشرك كاتبه فى الترقب والمتابعة (ومر شهر وشهران وثلاثة أشهر ولا جديد) وبذلك لم يتحقق الحلم ، ولكن يترتب على ما سبق ما يأتى بعده فى تصاعد فنى (وبينما هو واقف أمام دكان " الزرهونى " يمسك بين يديه قالب سكر ، إذا بشخص يأتيه ويسر فى أذنه شيئاً ، امتقع لونه وتقلص أديم وجهه وارتسمت على محياه تجاعيد الحزن والكرب) فاللغة فصيحة وسليمة ونلمح ذلك من خلال: (امتقع ، أديم ، محياه) فهذه الكلمات ترتفع شيئاً عن لغة الحوار فى الأسواق ، ولكنها لم تصل إلى حد الغرابة وهذه مقدرة وجودة من الكاتب ، واستخدم بدلاً من الإطالة الإيجاز والتلميح (ويسر فى أذنه شيئاً) والقارئ يعلم ما يسعى فيه علال فيتوقع النتيجة والكلام السر (وحرام أن يقول الآن فقط أن ولد برقة خدعه . كان علال يثق به ، وكانت ثقته به كبيرة . وماذا عساه أن يفعل ؟ فهاهو ولد برقة نفسه فى قبضة الدرك) وهذه قمة الأزمة والعقدة التى كانت الوسائل من بداية القصة تؤدى إليها . وبدلاً من أمل علال وحلمه فى شراء أرض إخوته ، يبيع هو أرضه (سعى بنفسه إلى " الجيلالى " ولد حيدة فباعه نصيبه من الأرض وسافر إلى المدينة فاكترى منزلاً فى حى شعبى) وبذلك لم يقف علال عند هذه النقطة بل واصل الحياة وإن خاب أمله الأول فأوجد بديلاً له بالسفر إلى المدينة واشتغل ببيع الفاكهة (بماذا يشتغل زوجك؟

ـ بيع الفاكهة) وهو أمر مترتب على ما قبله من مسيرة الحياة، وعندما تقول الزوجة (ولكن حبذا لو كنت حلمت بأكثر مما حلمت به .....) تأتى الإجابة لتحمل لحظة التنوير فى الحلم المتجدد ، والمحاولة المستمرة (وهل تعتقدين أننى تقاعدت من وظيفة الحلم؟) وبالأحلام يتجدد الأمل (نامى الآن ، نامى، قريباً سأخبرك بحلم جديد) وهذه هى الحكمة من القصة : الأمل المتجدد وتخطى الصعاب وبذا يتوافق العنوان مع حدث القصة (علال يحلم) وكانت الشخصيات : الأسرة ، وأخوة علال ، وولد برقة ، والجيلالى والزرهونى والجيران فى المدينة ، ولكن حركة الحدث اقتصرت على علال وولد برقة ، والجيلالى ولد حيدة الذى اشترى الأرض، والمكان المنزل فى القرية ، والسوق والمنزل فى المدينة ، وهذا كما نرى محدود فى الأشخاص والمكان أما الزمان فقد استخدمه الكاتب فى صورة صاعدة مرتبة من بداية القصة إلى نهايتها، واستخدمه جيداً فى توضيح صدى الحدث عندما جعل الأيام تمر ولا نتيجة فى تأخر التأشيرة (ومر شهر وشهران وثلاثة أشهر ولا جديد) .

وكذا (ومرت الأيام والشهور وحل الصيف المرتقب ، وحضر من كان غائباً من إخوة علال) وكانت نتيجة هذا الزمن أن (علال سعى بنفسه إلى الجيلالى ولد حيدة فباعه نصيبه من الأرض) فالزمن يشير الكاتب إليه ويتابعه بدقة عندما يكون فى حاجة إليه ليرينا أثر الزمن على سير الحدث وتصرف الشخصية الرئيسة.

ويمكننا أن نقول إن القصة المغربية كانت أكثر إحاطة فى اختيار اللغة المعبرة ، وامتازت بحرفية فى متابعة الحدث دون ترك فراغات وجدت فى القصة السعودية . واهتمت بدقائق تدل على الحس القصصى وتجعل القارئ يعايش أحداث القصة عن قرب .

القصة المجزأة فى مجموعة (خيمة المحبة) :

وهو بناء يحرص فيه الكاتب على تجزئة القصة الواحدة ويكون شكلها عنواناً رئيساً ثم مجموعة من العناوين تقسم القصة إلى أجزاء، وهذه الأجزاء تنتظم فى موضوع العنوان الرئيس ولكنها تتناول الحدث من زوايا عديدة وتصبح الأجزاء تحت العناوين الفرعية كأنها مشاهد يؤلف بينها الكاتب فيما يشبه (المونتاج) (الذى يشير بالمعنى السينمائى إلى مجموعة الوسائل التى تستخدم لتوضيح تداخل الأفكار أو تداعيها ، وذلك كالتوالى السريع للصور ، أو وضع صورة فوق صورة)[١] وهو (جمع لأجزاء النص وفق الترتيب الذى يرسمه المؤلف)[٢] .

والعجيب ان الكاتب لم يلجأ إلى هذا النوع من البناء القصصى إلا فى قصتين تناول فيهما الكاتب حرب الخليج الثانية أو ما عرف بحرب العراق والكويت ، وهما : (زعرور[٣] ..... والوجه الآخر) و(حروف خالدة)[٤] .

ففى قصة (زعرور[٥] ..... والوجه الآخر) . نرى بعد العنوان الرئيس عنواناً آخر هو (موقف عام) وفيه يشير الكاتب إلى الحياة قبل الحرب (وابتسامة العم أحمد تضفى على جو العائلة صفاء وهناء) وهو أحمد الصباح أمير الكويت ، والعنوان الثانى : الوجه الآخر .

---

(١) روبرت همفرى فى : (تيار الوعى فى الرواية الحديثة) تعريب محمود الربيعى (دكتور) ط دار المعارف بمصر طبعة ثانية ١٩٧٥ ص ٧٢ .
(٢) لطيف زيتونى فى : (معجم مصطلحات نقد الرواية) ط دار النهار للنشر بيروت، طبعة أولى ٢٠٠٢ ص ١٦٢ .
(٣) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٣١ .
(٤) السابق ص ٤١ .
(٥) من اللهجة المحلية وتعنى كما أشار الكاتب فى (مجموعة خيمة المحبة) فى هامش ص٣١ : سئ الخلق ، كما أنها حشرة ضارة تقع على الحمير خاصة .

ويشير إلى حاكم العراق (بيد أن النفوس الأخرى يقتلها المرض وعيون يظللها الغمام) فتكون الصورة مشهداً من الحياة الهانئة والهدوء والصفاء لدى الكويت أما المشهد الثانى فيشير إلى نفوس مريضة ونظرة مريبة (يقتله السقيع يعيش فى خواء ومسغبة) وأمام هذا الاحتياج (يبتسم المضيف لجاره حياك الله إنه " زعرور " ويحمل أشياء كثيرة هكذا حقوق الجوار) فيرينا مساعدة الكويت للعراق على الرغم من عدم سلامة الطوية والغل .

والعنوان الثالث : (حلم) ويكون التحلى بالصبر مع القلق (وفى النفوس يسكن توجس رهيب) .

والرابع : (غرس وفضائل) وتكون الفضائل فى دعوة الجار والتواصل معه والحديث عن الإخاء العربى والتضامن والوفاء (يوم جميل دعا العم جاره زعرور وعلى المائدة حدثه وأبناءه عن الحب والإخاء عن التضامن والوفاء عن الفضيلة واحترام الآخرين) ٠

والخامس (صيغة جديدة) وفيه يشتكى زعرور كفاف العيش لاستنزافه فى الحرب الأولى بين إيران والعراق . ويشكو من عدم انصياع الجار لطلباته (ويشتكى للأبناء صعوبة الآخرين) وينحرف الموقف إلى الحقد (ويسكن القلب حقد دفين) .

والسادس : (استفهامات) ويوضح الدهشة والغرابة من تصرف زعرور (ما شأنه ؟ ما خطبه ؟ اى شئ دهاه ؟) .

والسابع : (حدث حدث) وفيها نشوب الحرب والاعتداء (ويصعد فى الأجواء غبار ..... ويطعن الأخوة فى قلبها .... ويقطع اليد الحانية) ويكشف فيه الكاتب جزاء المعروف والمساعدة بالتنكر والإيذاء .

وهذا يعد أطول أجزاء القصة ومشاهدها إذ يرينا الكاتب (ويسرق من الأم حروف الحنان ..... من الطفل لحظات الصفاء) ويكون ذلك ثمن المعروف (تقف العقول فى اندهاش ولسان الجميع يحكى قصة وفاء قصة عطـــاء و " زعـــرور " يركب صهوة الغدر والخيانة) .

والثامن وهو المشهد الأخير (النهاية) وهى نهاية القصة ونهاية الحرب (هب الجميع لنصرة المظلوم وقفوا فى وجه الظالم .... أخوة .... جيران أحبـــة كرام .... أصدقاء وأصحاب) ولا شك أن هؤلاء جميعاً كانوا يد العون ورد الظلم (هنا سيف هنا مدفع .... هنا حق يرجع .... هنا نصر مبين) ولا شك أننـــا إذا تأملنا العناوين نجدها تدل على مشاهد وإن كانت غير متسلســـلة ، فـــإذا أفردنـــا العناوين صارت القصة أجزاء وشتات ، لكن العناوين جاءت بمثابة مشاهد من هنا وهناك ألف بينها الكاتب فى حدث واحد اتسم بموقف التعاون والإخاء فى مقابـــل الخسة والخيانة . وهو جوهر القصة ومحورها بأشخاص " زعرور والعم أحمد . ومن ساعد فى رد الظلم ، وكان المكان إيحاءاً أرض الكويت والزمن هـــو وقـــت الحرب ومدتها إلى النصر ، وهو موقف يدعو للتأمل . نقله الكاتـــب مـــن بيئتـــه المحيطة إلى القارئ وعكس إسهام مجتمعه فيه وجاءت قصة (الإنسان ضـــمير مسئول) [١] تحت تجزئة لكن بدون عناوين إلى تقسيم الوقت الســـاعة الأولـــى ، الساعة الثانية ، الساعة الثالثة ، إلى الخامسة ولا تزيد على الشكل الأول شيئاً .

بينما القصة التى تحتوى على عناوين جزئية لا توجـــد فـــى مجموعـــة: (تحديق فى الفراغ) . وإنما جاءت القصة التى تحمل تقسيماً للوقـــت لكنهـــا لا تحتوى على عناوين فرعية مثل قصة : (حلم دائرى) [٢] التى أرانا الكاتب تطور الحدث من خلال متابعة الزمن من (صباح اليوم الأول) الذى كـــان فيـــه ســـعى

(١) مجموعة (خيمة المحبة) ص ٤٨ .
(٢) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٢٥ .

الفتاتين للحصول على العمل ، وبعد الحصول على نوع من العمل يكون (مرحلة تدوم شهراً كاملاً بدون أجر ، ثم فئة المتوسطين ، وتدوم شهرين مقابل عشرين درهماً فى اليوم الواحد ، ثم فئة المؤهلين التى تسمح لمن بلغها بالعمل لمدة عام بأجر يوازى قيمة المنحة الجامعية) وذلك لبيع منتجات المرهم والصابون ومعجون الأسنان ثم يأتى (عصر اليوم الأول) وعنده لم يتم بيع المنتجات وتظل الحاجة إلى المال برأسها ولكن العمل بدون مقابل ، فتكون النجدة فى الاقتراض الذى كان ثمنه المهانة (لا شك أن الحقير اختلس منها قبلة) .

ويأتى (مساء اليوم الأول) وفيه التعب والملل وضياع القسط الأكبر من الأمل ويستمر الحال ولا يذكر الكاتب أياماً أخرى وكأن الحال سار على هذا المنوال واستخدم الكاتب فى بناء القصة ما يعرف : (بالقطع) (الذى يلتجئ الروائيون فيه ــ فى كثير من الأحيان ــ إلى تجاوز بعض المراحل من القصة دون الإشارة بشئ إليها ، ويكتفى عادة بالقول مثلاً "ومرت سنتان) "[١] وهو ما صنعه الكاتب عندما ترك من مساء اليوم الأول إلى . مساء اليوم العاشر الذى كانت فيه المصارحة بقرار الاستقالة (اعتقتا رقبيتهما من عمل قالت نادية فيما بعد إنه لم يكن سوى عقوبة سيمحص الله بها بعض ذنوبهما بلا شك) .

وبهذا يمكن أن يتحد الكاتبان فى التقسيم الزمنى ولكن بعد ذلك نرى فى مجموعة (تحديق فى الفراغ) القصة فى صورة رسائل ، وهذا النهج لم يوجد فى مجموعة (خيمة المحبة) وكأن كل كاتب استقل بنمط لا يوجد عند الآخر فجاءت قصة : (القرار الصعب) [٢] . والتى صاغها الكاتب من خلال رسائل من

(١) حميد لحمدانى(دكتور) فى : (بنية النص السردى ــ من منظور النقد الأدبى) ط المركز الثقافى العربى للطباعة والنشر ــ بيروت طبعة أولى ١٩٩١م ص٧٧ .
(٢) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٧١ .

مغترب فى إيطاليا (عمر) ومن خلال الرسائل منه والرد عليها أو رسائل إلى آخرين يكون النسج القصصى وتتابعه مجزءاً حسب عدد الرسائل ، فنرى الزمن فى تاريخ الرسائل ونرى الحدث من محتوى هذه الرسائل (الرسالة الأولى) للزوجة (سعيدة) وفيها الشوق والحنين (هل تتذكرين كل تلك الأوقات الجميلة فى كنف الأهل والأحباب) وبعض بذور الشك (كنت أسمع بعض الأحاديث لكن اليأس لم ينتصر على رغبتى) ولعل الغربة قادت إلى زواج غير مستقر ولا متوافق (لا أدرى لماذا قلت لى ذات مرة " لابد أن يزورك أصدقاؤك فى البيت) فالكاتب على استحياء يوضح مثالب الغربة ، وتأتى (الرسالة الثانية) لتحمل الشوق إلى العائلة والأم والأب والأخوة ولكن يطل الشك برأسه منها فى وصية الأخ (وإذا رأيت شيئا غير طبيعى كن أول من يخبرنى، و(الرسالة الثالثة) إلى الزوجة وهى وإن كانت الثالثة ذكراً فهى الخامسة إرسالاً إلى الزوجة وهذا له معنى فى عدم التجاوب وعدم الاهتمام، و(الرسالة الرابعة) إلى الأخ وفيها البوح بالمشكلة وتفاقمها عندما تركت الزوجة منزل الزوجية (المهم أنها الآن غادرت المنزل) وتأتى الرسالة الخامسة من الأخ وفيها محاولة الصلح التى باءت بالفشل (فقد ذكر لهم أنه لا سلطة له عليها ولا طاقة له بها ، وأنها ربما تنوى مغادرة منزل أسرتها) ، ثم (الرسالة السادسة) : وفيها قرار الطلاق (وكان لابد من اتخاذ ذلك القرار الصعب).

و(الرسالة السابعة) وهى من الزوجة لصديقتها والتى وضحت أن الزوج فى جانب والزوجة لا تعير الأمر أية أهمية فهى تراسل صديقاتها وتوضح أن الأمر بالنسبة لها ماض انتهى (وما تقصدينه ينتمى عندى إلى الماضى ، أنا الآن مستقرة) .

وقد مرت دراسة القصة فى البحث[١] ولكن الدراسة هناك كانت تشير إلى سمة من سمات المجتمع المغربى والسفر إلى الخارج ، ولكن هنا وضحت أن القصة جاءت فى أجزاء إذا جمعت وضحت بناء الرسالة من الناحية الفنية ، ولا يخفى أنها تنتمى إلى القصة ذات البناء الصاعد فيسبق فيها الأول الثانى والزمن متسلسل من خلال تواريخ الرسائل ، والأحداث تسير إلى الأمام حتى تصل إلى القمة وتكتمل الفكرة ، لكن من خلال أجزاء تمثلت فى الرسائل .

التوليف أو (المونتاج):

وقد جاء هذا اللون فى القصة المغربية فى مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ويمثل ذلك قصة : (تحديق فى الفراغ) [٢] و التى جعلها الكاتب عنواناً لمجموعته والتى استخدم الكاتب فيها المشهد الذى (يعطى للقارئ أحساساً بالمشاركة الجادة فى الفعل ، إذ أنه يسمع عنه معاصراً وقوعه كما يقع بالضبط) [٣] وجاءت القصة من خلال ثلاثة مشاهد صاغ من خلالها فكرة القصة أولها : عالم القطط والمقارنة بين قطط الأغنياء والقطط المشردة فى الشوارع ، ثم مشهد الكلاب وأكلهم من الشارع والطرقات ووازن بين الكلاب الأوربية والمشردة وما يجد كل منهم ، الأولى من العناية فى الاهتمام بقصات الشعر وأنواع الأطعمة والثانية مما يلاقيه المشردون فى الشوارع ، ويتصاعد الأمر بالمشهد الأخير الذى نرى فيه مهانة الإنسان وإهدار كرامته عندما يسوقه الفقر إلى الأكل من القمامة دون ان يسعى لمساعدته أحد أو يرثى لحاله ، فالقطط تجد فى مجتمع الأغنياء

(١) ص ٥٧ .
(٢) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٨١ .
(٣) سيزا قاسم (دكتورة) فى : (بناء الرواية) ط هيئة الكتاب المصرية ١٩٧٨م ص٩٤ .

من يهتم بها والكلاب كذلك حتى نالت قسطاً من الرفاهية والتدلل، وأن المجتمع يحرص على الحانات ومواخير البغاء محافظة على حرية زائفة لم ينل منها الفقراء شيئاً مما دفعهم إلى البحث عن الطعام فى أكياس القمامة ، وهى قمة المأساة استطاع الكاتب بحرفية تصويرها فى مشاهد ألف بينها دون أن يجزئ قصته تحت عناوين متعددة ، ولكن البناء كان متصاعداً شيئاً فشيئاً إلى أن تمت الفكرة ونجح الكاتب فى صياغتها ، واستخدم مع المونتاج كذلك ما يعرف بعين الكاميرا (وهو إحدى التقنيات التى يتم بها تسجيل الأحداث والمواقف ونقلها وكأننا أمام آلة تسجيل محايدة) [١] .

(١) جيرالد برنس فى : (قاموس السرديات) ترجمة السيد إمام ط ميرت للنشر والمعلومات القاهرة طبعة أولى سنة ٢٠٠٣ ص ٢٨ .

الاسترجاع أو الارتداد:

ويعنى أن الكاتب لا يسير بالحدث فى اتجاه واحد سواء كان ماضياً أم حاضراً أو مستقبلاً لأنه فى هذه الحالة يصبح بناء صاعداً ، وإنما فى الاسترجاع أو الارتداد . يعود الكاتب إلى منطقة تسبق حركة الحدث الآنية ويصبح البناء غير مرتب أو متداخل ، وهذا يحدث عند الذكرى أو سرد الماضي ، (وهذا النوع الذى ارتبط بتقنية كتابة الرواية بدءاً من وسطها، يرمى إلى استعادة الجزء الساقط من الحكاية ، الذى يشكل عموماً جزءاً مهماً منها أو الجزء الأساسي) [١] . ويطلق عليه البعض (الفلاش باك)[٢] أو خلفية الصورة ، اقتباساً من الضوء الذى يصدر من آلة التصوير لتضح خلفية الصورة ، وهكذا يصنع الكاتب فيرينا من خلال الاسترجاع ما يوضح الصورة القصصية لأن الكاتب غالباً لا يبدأ من بداية الحدث ، والاسترجاع يساعده على توضيح الحدث بكل جوانبه ، وهذا النمط من البناء لم يتوفر فى القصة السعودية ، وإن توفر فيها القصة التي تتناول الماضي لتسرده بشكل مرتب متصاعد مثل قصة : (أنات البئر) [٣] التي تحكى حياة جالب الماء أيام كان فى القرية فى حياة سعيدة هانئة قبل أن يسافر إلى المدينة طلباً للمال ثم عند عودته يدرك أن أشياء كثيرة قد ضاعت منه ، وكذلك قصة : (لوحة الفرح) [٤] التي يقص فيها الكاتب ذكريات الطفولة والعيد فى نسج مرتب متصاعد لكنه من الماضي ، وعلى ذلك لا يدخل فى بناء الاسترجاع .

---

(١) لطيف زيتونى (دكتور) فى : (معجم مصطلحات نقد الرواية) مرجع سابق ص١٨ .
(٢) ضياء غنى لفتة (دكتور) وعواد كاظم لفتة (دكتور) فى : (سردية النص الأدبى) ط دار الحامد للنشر والتوزيع عمان الأردن طبعة أولى ٢٠١١م ص٤٤
(٣) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٣٥ .
(٤) السابق ص ٦٤ .

أما فى القصة المغربية فقد وجد هذا اللون من البناء الفنى ، وتمثل قصة: (العودة) [١] هذا النمط الفنى حيث يبدأ الكاتب قصته بحوار دار بين الشخصية الرئيسة (سمير) وعمه وهو يغادر (يا ابن أخى ، أتظن أننى أقدر منك على فهم ما يجرى، او معرفة ما يصلح لك مما لا يصلح ؟ أختر أنت ما تراه مناسباً لك) فعلام يبدو أن " سمير " أخذ رأيه فى شئ ، وأوكله عمه إلى نفسه وبعد ذلك نرى "سمير" (يغادر منزل عمه ليلتحق بمكان الحفل) .

وفى الحفل يقول الكاتب : (فى مساء ذلك اليوم الذى اختلط فيه نداء الماضى بتذكار الحاضر) ومن هنا ندرك أن البناء خليط بين الماضى والحاضر . اللذان لم نعلم الآن عنهما شيئا ، ثم يتضح الحاضر فى الحفل (كان معظم سكان الحى تقريباً فى ضيافة الحاج عباس) وفى الحفل تدور المناقشات و المشادات بين (الفقيه) و (بوعروف) (واضطرب الناس وماجوا فى أماكنهم ، فصاح الحاج عباس صاحب الوليمة : الهدوء الهدوء ــ الله يخليكم العنوا الشيطان) .

وإلى هذا الحد لا نعرف لماذا كان الحفل وما علاقة (سمير) به وينسحب أحد المتحاورين (نودى على (بوعروف) لم يكن بينهم كان قد انسل فى غفلة منهم فتركهم عبثاً يختصمون) ولحق به سمير (وكان "سمير" قد انسحب أيضاً تحت غطاء اللغظ) ويدور بينهما حديث . وفى أثناء ذلك (لم يعودا يسمعان بشكل واضح سوى كلمة واحدة هى "آمين" يرددها الحاضرون جميعاً أيقن " بوعروف " أن الأمر يتعلق بدعاء الختم، وأن الجمع سينفض عما قليل) وإلى هنا الأمر مبهم والقارئ يتساءل لم كان الحفل ؟ وما صلة سمير به ولم كان على هذه الهيئة. ، وبعدم ذلك لا يسير الحدث إلى الأمام بل يرتد إلى الخلف ليلقى الضوء على ما سبق ويفسره (ومضى سمير فى الدرب وحيداً وهو يقلب ورقات غير

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٥٣ .

متتالية من سفر الطفولة) وهاهو يصرح الكاتب أنه ترك الحاضر وعاد إلى الماضى، ومن خلاله يسرد الكاتب بداية الحدث (كان سمير قرة عين أمه فطالما دعت الله وناجته من أجله ، وأملها أن يصبح فى المستقبل معلماً أو ممرضاً) ولكنه يفشل فى تحقيق ذلك وتموت أمه (وغادرت أمه هذه الدنيا وفى صدرها غصة من فشل ابنها فى الدراسة) بالطبع هذا الاتجاه لا يسير بالجزء الأول إلى الأمام ، بل يرتد به إلى الخلف وهو الاسترجاع (أصبح "سمير" بعد ذلك راعى غنم فى البرارى) .

ويسترسل الكاتب فى استعراض هذه الحياة الماضية (ثم كبر سمير ولم يعد يذهب إلى البرارى . باع أبوه ما خلفته سنوات الجفاف من قطيعه وقطعة الأرض التى يملكها) وينتقل إلى المدينة (ثم بدا له أن يرحل إلى المدينة فرحل) وتتهيأ الظروف لسفر " سمير إلى إيطاليا (وعبر مسار طويل مرهق غامض ملئ بالوسطاء تمكن من إرسال ابنه سمير للعمل فى إيطاليا) .

ويتضح الحفل وسببه من الاسترجاع أو الارتداد (وسمير كل صيف يعود إلى الوطن ، وله فى كل مرة يعود فيها ليلة ذكر يدعو لها الفقهاء والفقراء ، يترحم على أمه ويدعو لها) فما كان مجهولاً اتضح الآن بإلقاء الضوء الكاشف عليه مثل (خلفية الصورة) أو (الفلاش باك) فعرف القارئ سبب الحفل وصلة سمير به ، بطريقة وقف فيها الكاتب عند نقطة معينة ليعود إلى الماضى الذى وضح صورة الحاضر وهو من وظائف طريقة الاسترجاع التام الذى (يرمى إلى استعادة الجزء الساقط من الحكاية الذى يشكل عموماً جزءاً مهما منها) [١] .

(١) لطيف زيتونى (دكتور) فى : (معجم مصطلحات نقد الرواية) مرجع سابق ص١٨ .

دلالة العناوين عند كل

اختيار عنوان المجموعة (خيمة المحبة) يدل على الرضا والتوافق وهى نظرة فيها الحب والتآلف وكأن مجتمع القصة تحت خيمة واحدة فى وئام، وهو ما تعكسه نظرة الكاتب فى قصصه التى إذا عكرت بعض المنغصات صفو الحياة فإنه غالباً ما يعود فيضفى على الحياة مسحة الرضا والسعادة ، وبالتأمل فى عناوين القصة نجد أن : (العنوان يمثل (عتبة النص التى يجب أن يخطوها القارئ فى تؤدة مصحوبة بقدر من التأمل اليقظ حتى لا يتعثر فيها فتتوقف قراءته وتقصر عن المتابعة ، أما إذا تخطى هذه العتبة آمنا فإنه سوف يلج منها إلى غرف النص وأبهائه)[١].

بعض العناوين فى مجموعة : (خيمة المحبة) مسطح لا دلالة فنية إيحائية له بل جاء مباشراً ، وإن اتصل بموضوع القصة . مثل قصة (الدائرة المضيئة) فالكاتب رأى تصرف الشخصية المحورية عملت عملاً جميلاً وعظيماً فى التضحية عندما فضلت (البنت) رعاية أسرتها : أمها وإخوتها على الزواج ، فكان فعلها موضوعاً فى الدائرة المضيئة ،وكذا قصة : (قراءة فى سجل الضمير) فكان العنوان مباشراً فى مناقشة التقصير فى حياة المدرس ، التقصير الذى يعد الضمير مسئولا عن الإخلاص فيه وأحياناً نجد أن العنوان لا يوحى بموضوع القصة مثل : قصة: (الأمل ورحلة العمر) فالعنوان يوحى بأمل تحقق بعد عناء والقصة تحكى مآسى فى حياة شاب ذاق العوز والمهانة بعد زواج أبيه من أخرى، ولكن بعد أن يكبر ويحصل على عمل ويصبح لديه مال يعول أباه وأمه ويرعاهما

(١) محمد عبد المطلب (دكتور) فى : (بلاغة السرد) ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة (كتابات نقدية) شهرية رقم ١١٤ فى ستبمر سنة ٢٠٠٠ ص١٨ .

ولم يلتفت إلى إساءة والده ، فكان الأنسب للعنوان أن يكون : (الوالدان) ويصير المعنى مهما صنعا فالواجب الاهتمام بهما ورعايتهما وليس معاملتهما بالمثل .

أما فى مجموعة : (تحديق فى الفراغ) فحتى عنوان المجموعة يحمل على التساؤل لأن الناظر بشدة فى الفراغ لا يرى شيئاً لأن أمامه فراغ . وهى نظرات اتسمت غالباً بالنقد وعدم الرضا عن أشياء فى المجتمع الذى صورته، وعناوين القصص فى معظمها كانت لها دلالة فنية فمثلاً قصة : (فى الطريق) لها دلالة فنية لأن الحدث الرئيس وقع فى هذا الطريق ، وهو مقابلة الفتاة التى دار حولها عنوان القصة ، وكانت نهاية القصة تعود إلى الارتباط بما حدث مع هذه الفتاة التى تعمل بالخدمة فى المنازل ومساعدتها حيث جاء رد الفعل : استدعاء الشرطة (للسى عبد الرازق) الذى اوصلها بسيارته ورثى لحالها ولأمثالها من الفقراء ورأى أن المجتمع أجرم تجاه هؤلاء الفقراء وقدم لها المساعدة . كانت النتيجة استدعاء الشرطة له وبذلك يجعلنا الكاتب أمام الفكرة أن هذا ما حدث فى الطريق ، ويصبح العنوان موحياً ، الطريق يحوى الكثير من المفاجآت من يتأمل الطريق يجد مآسى ، إلى آخر الدلالات التى تجعل العنوان موحياً وكذلك العنوان فى قصة : (تحديق فى الفراغ) كان العنوان موحياً؛ لأنه يوجه إلى حالة الفقراء التى لم يلتفت لها المجتمع ، وأصبحوا لا يراهم أحد، ولا يلتفت إليهم ، وهو بكتابته عنهم كمن يحدق بعيداً عن ما يهتم به المجتمع، ولا يوجد مكان له فيه ويمثل فراغاً غير منظور (هكذا صرت مرة أخرى أحدق فى الفراغ) وعلى ذلك كانت العناوين فى مجملها مختارة بعناية، ولها دلالة فنية؛ لأن العنوان يمثل فلسفة لزاوية يرى من خلالها الكاتب حدث أو موضوع القصة ويدلل عليه ، وهو العتبة التى ينفذ منها القارئ لولوج القصة ، وكذلك قصة (الحقيبة) التى جعل الكاتب فيها العنوان موحياً حيث كان

الحرص على هذه الحقيبة يرتبط بالحرص على شهادة التخرج التى يضعها فيها، وفى النهاية عدم وجود الحقيبة والتشكك فى حملها يحمل معنى إيحائياً فى أن الحقيبة وما بداخلها موضع شك، وهو ما يتضح فى قيمة الشهادة التى بعد الحصول عليها لا تمكن صاحبها من الحصول على عمل، وهكذا العنوان له دلالة فنية فى معظم قصص مجموعة: (تحديق فى الفراغ) .

نهايات القصص

الملاحظ فى مجموعة : (خيمة المحبة) أن النهايات سعيدة أو هانئة والحياة دائماً تسير وهذا هو النمط الغالب على قصص المجموعة ، حتى وإن كانت المقدمات سيئة نرى الخاتمة جميلة مثل قصة (رحلة حنان) والتى سبقت دراستها[١] فى البحث ، فبعد أن يقاسى (عبد الرحيم) وأمه بعد زواج أبيه من امرأة ثانية ، يعانى من إهمال ، ويكلف بخدمة الزوجة الجديدة ، ولا يجد فى العيد ملابس جديدة ، فيلتمسها عند أصحابه ، بعد كل هذه المعاناة والمعاملة السيئة والإهمال . يلتحق (عبد الرحيم) بالخدمة العسكرية وبعد أن يحقق نجاحاً وأموالاً تكون نهاية القصة (لقد صار "عبد الرحيم" أباً يحمل الأب والأم فى الحدق) وتكون آخر كلمات القصة دالة على الرضا (ورحلة الحنان تمخرعباب البحر) أى والحياة تسير بشكل هانئ.

وكانت فى الغالب الخاتمة تقليدية بمعنى أن تكون لحظة تنوير توضح هدف القصة أما فى القصة المغربية من خلال مجموعة : (تحديق فى الفراغ) فكان معظم النهايات القصصية لا يعطى حلاً جاهزاً ، بل كان داعياً إلى التساؤل فى أحيان كثيرة ، وهو نمط حديث يستخدمه بعض الكتاب.

ففى قصة (فى الطريق) بعد أن أسدى (السى عبد الرازق) عملاً جميلاً فى توصيل الفتاة الفقيرة بالسيارة ومد لها يد المساعدة بالمال (نزلت الفتاة من السيارة ، وناداها فأعطاها ورقة صغيرة ملفوفة) يفاجئنا الكاتب بشئ يثير الدهشة والغرابة (وبعد ساعة ، كان على مشارف مدينة فاس، وبينما هو يتهيأ

(١) ص ١٣ .

لدخول منزل العائلة فى حى الدكارات إذ هاتفه يرن٠ قال فى نفسه : " زوجتى تطمئن على أو الأهل هنا قد استبطأوا وصولى" تناول الجهاز الذى كان مطروحاً فى الكرسى أمامه واستمع ، فإذا صوت لا يعرفه يناديه :

ـــ السى عبد الرازق .... أنت هو السى عبد الرازق ؟

ـــ نعم أنا هو ، من معى على الهاتف ؟

ـــ البوليس .

ـــ البوليس ؟ ما الداعى .

ـــ ستعرف بعد قليل . تقدم إلى أقرب مركز شرطة ، وستعرف السبب) [١].

هذه النهاية تثير التساؤل فهو لم يقدم غير المعروف ، وغير مطالب بشئ وهو ما يوضحه استفهام (السى عبد الرازق) (البوليس؟ وما الداعى؟) وتصبح النهاية مثيرة ، ربما لأنه رثى لمصير هؤلاء التعساء ونادى برفع الظلم عنهم ، كما أفصحت القصة ، هل البنت وراءها مشكلة ؟ أو حدث لها مكروه ؟ المهم أن النهاية على هذا الشكل لا تأتى بلحظة التنوير بقدر ما تثير التساؤل فى نفس القارئ، وكل قارئ يقدر السبب على حسب مقدرته الفكرية، وتعد نهاية مفتوحة .

وعلى هذا النمط يترك الكاتب فى معظم قصصه النهاية مفتوحة لعل القارئ يستطيع أن يضع لها حلاً مثل قصة (العودة) [٢] التى نرى فيها (سمير) الشخصية الرئيسة يعود بعد الحديث مع صديقه إلى زوجه (تاتيانا) البلغارية (والتحق بها سمير فى المقهى فبادرها بالاعتذار مبتسماً وهى غير عابئة ، كانت قد استعادت هدوءها ، غير أنها أحست بالرغبة فى التدخين ولم تفعل ، ونظر سمير إلى كأسه التى لم يذقها ، أشاح عنها بوجهه ونادى النادل ، ثم قام ونشاط عجيب يحدوه ، وخاطب (تاتيانا) :

---

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٢٤ .
(٢) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص٥٣ .

ـــــ هيا نعود .

ـــــ فأجابته إلى أين) .

وتنتهى القصة دون إجابة . هل إلى البيت أم إلى إيطاليا . ليكون الاستنتاج عند من يربط بين بداية القصة . فى أخذ رأى العم فى أمر ما قد يكون زواج (تاتيانا) (يا ابن أخى أتظن اننى أقدر منك على فهم ما يجرى ، أو معرفة ما يصلح لك مما لا يصلح) دون الإفصاح عن الأمر محل أخذ رأى عمه . فيمكن أن يكون الأمر الزواج من " تاتيانا " .

الأمر الثانى : أن يكون ذلك مرتبطاً بعادة التدخين عند "تاتيانا " وهو أمر منتقد فى البيئة العربية كما وضح الكاتب ولا يلائم عادات أهل المغرب المهم أن النهاية مفتوحة ولم توضح إلى أى مكان ستكون العودة وبذا نرى الكاتب يحاول تحريك ذهن القارئ .

فكاتب القصة (ليس غرضه أن يقص قصة ، أو يسلينا أو يثير شعورنا بل هدفه أن يجبرنا على أن نفكر ونفهم المغزى العميق الخفى للأحداث) [١] .

توظيف الحلم

وفى هذا يعمد الكاتب إلى إيراد الحلم بمعنى : الرؤية المنامية ويوظفه فى النص القصصى بعدة صور منها الرمزى ، ومنها ما يكون لتوضيح موقف معين فى القصة ، أو إلقاء الضوء على سير الحدث القصصى ويصبح الحلم صورة من صور البناء فى القصة القصيرة الحديثة.

(١) طه محمود طه (دكتور) فى : (القصة فى الأدب الإنجليزى من " بيوولف حتى "فينسيجا نزويك ") ط الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥م ص ١٤١ .

وهذا النمط الفنى لا يوجد فى مجموعة : (خيمة المحبة) وإن وجدت إشارات باهتة لا ترقى إلى توظيف الحلم فى قصة : (وللفضيلة بعد آخر) [١] وفيها نرى (محمد) الشخصية الرئيسة بعد أن تقدم فى السن وأحيل إلى التقاعد (فى الليل تحمله الأشياء بعيداً .... لا شئ سوى خيوط العنكبوت المتدلية على السرير ، وكأنها تنذر بنهاية عمر مديد) وهنا يختلط الواقع بالحلم (حدق قليلاً فى الجسم الهامد سرير عتيق .... أبى أبى قالها مرتين فلم يجب ، رأى جبيناً شاحباً وسمع صوتاً هلم إلى أبى أريدك) وهذا كلام الشخصية ولكن الحلم يتضح من قول الكاتب (يذكر أنه قال له : كل منا يريد الآخر) وفى الحلم تعكس الشخصية التفاعل (عند النهاية يا أبى يصعب النظر إلى الوراء وخاصة عندما تطول الطريق ماض دفين .... لم أفهم يا بنى .... لحية بيضاء .... وتجاعيد على الوجه٠٠ وارتعاش السنين .... وبصوت عال ضحك الأب كثيراً) ونعرف أنه حلم من قول الكاتب :
(واستيقظ " محمد " على الصوت استعاذ بالله من الشيطان واتجه إلى يساره) فهذه رؤية منامية لكن خيوطها باهتة ولم تتصل بموضوع القصة إلا من خلال تقدم عمر " محمد " لكنها لا تمد البناء بأية فائدة وتصبح بلا جدوى ، وهذه المرة الوحيدة التى يوظف فيها الكاتب الحلم فى قصته ونراه أخفق كثيراً فى ذلك . لأن الحلم لا يتصل بتنمية الحدث أو إلقاء الضوء عليه ، فالقصة تتناول مسيرة شخص أمى تقدم به العمر ويتعرض فى النهاية لعملية نصب بتزوير مستند .

(١) مجموعة (خيمة المحبة) ص٦٧ .

توظيف الحلم فى القصة المغربية

أما فى القصة المغربية من خلال مجموعة : (تحديق فى الفراغ) فنرى توظيفاً ناضجاً للحلم استطاع الكاتب من خلاله أن يلقى الضوء على حدث القصة وجاء على صورتين الأولى قبل الحدث وتمثله قصة (علال يحلم) [١]والثانية بعد مرور الحدث وتمثله قصة : (حلم دائرى) [٢] ففى قصة (علال يحلم) يتشاكل الحلم مع عنوان القصة الذى دل على الأمل المتجدد كما دلت أحداث القصة ، أما توظيف الحلم فكان عن طريق رؤية منامية للشخصية الرئيسة (علال) (رأى علال فى منامه الليلة الماضية أنه يركب عربة " كوتشى "[٣] كانت تسير به فى شارع طويل وهو راكب يتملى فى الناس والأشياء) وهو محتار فى تفسير هذا الحلم ولكنه (قدر أن ذلك الحلم ينطوى على فأل حسن) وعلى ذلك كان بعد هذا الحلم مباشرة التوجه إلى حلمه وأمله فى الواقع (وقرر أن يصارحهم بخطته) وتكون فى السعى لشراء أنصبة أخوته فى الأرض . وتصبح السيارة فى الرؤيا طريق الوصول إلى تحقيق طموحه فى الحياة ويكون جزءاً من النص ، لكنه يلقى الضوء على الحدث وليس جزءاً منه. فكان الحلم رمزياً (تحقيقاً لرغبة من الرغبات فى صورة مباشرة، أو تحقيقاً لرغبة مكبوتة فى اللاشعور) [٤] وهو أمل علال فى شراء أرض إخوته .

---

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٣٩ .
(٢) السابق ص ٢٥ .
(٣) كوتشى تعنى سيارة ماركة : (فيات) فى اللغة المغربية ، موسوعة ويكيبيديا ــ الموسوعة الحرة .
(٤) محمد فتوح أحمد (دكتور) فى : (الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر) ط دار المعارف بمصر طبعة ثانية ١٩٧٨م ص ١١٤ .

أما الصورة الثانية للحلم نجدها فى قصة : (حلم دائرى) [١] فنرى الحلم بعد المعاناة التى عاشتها (أمل) ــ الشخصية الرئيسة فى القصة ــ فى الحصول على عمل ، وبعد أن حصلت على عمل ظنته خيراً عانت فيه الشقاء بدون مقابل فهى بعد العمل الشاق لمدة عشرة أيام لم توفق فى تصريف المنتجات التى كلفتها الشركة ببيعها ولم تتقاض أجراً لأن شرط العمل أن الشهر الأول بدون مقابل ، فكان رحلة عذاب وشقاء واقتراض لنفاذ النقود الخاصة بها ، وبعد ذلك جاء الحلم ليركز نتيجة الحدث ويعمق الإحساس به (كان النوم مشاكساً هذا المساء ، لكن أمل راودته المرة بعد المرة) وهذا يدل على الحزن والقلق عندما عادت إلى القرية بعد إخفاقها فى الحصول على عمل يدر دخلاً عليها (ثم نامت فرأت أنها تسافر عبر الطائرة إلى بلاد بعيدة فتصل إلى المطار ، وتقلها سيارة فخمة إلى مدينة كبيرة ، فتدخل عمارة شاهقة ، وترتقيها فى مصعد كهربائى إلى مكتب فسيح أنيق انفتح لها عن بعد ، وكان فى المكتب الأنيق أناس يضحكون ، كانوا رجالاً ونساء يجلسون متقابلين على أرائك وثيرة . ورأت أنها حجبت عنهم لوقت ثم أظهروها . استقبلوها واستدبروها ثم أوقفوها فسألوها، وكان يلزم أن تمر أمامهم فوق صراط وضعوه هنالك ، فمرت . وعندما كانت تهم بالنزول قفزت إلى أرض المكتب . فرأت أنها تسقط فى هوة سحيقة بلا قرار) وقد حرصت على نقل الحلم أو الرؤيا المنامية كاملة ، ليتضح دورها فى البناء .

الرؤيا جاءت بعد الفشل فى الحصول على عمل يدر دخلاً ويشعر الإنسان بقيمة اجتهاده فى الدراسة وأن تفوقه يوفر له حياة كريمة، لكن الواقع كان صادماً . وبذا كانت الرؤية تلخيص لرحلة أمل إلى المدينة وما صادفها من عناء وفشل ، والرؤيا جاءت عن طريق الرمز ولم تسرد الواقع على وجه الحقيقة ،

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٢٥ .

فالسفر إلى البلاد البعيدة بالطائرة وركوب السيارة إلى مدينة كبيرة ، هى الآمال والأحلام التى أرادت (أمل) ان تنقلها إلى حياة سعيدة ، تحصل على مكانة لائقة ودخل مجز ، ودخولها عمارة شاهقة ترتقيها فى مصعد كهربائى ، هى الوسائل التى تسلحت بها من التعليم والتفوق (وانفتاح المكتب عن بعد هو تمام الوصول إلى الدرجة العلمية، أما الأناس الذين فى المكتب فهى الحياة التى خرجت إليها بعد الدراسة، والاستقبال والاستدبار فهى الشروط المجحفة التى أمليت عليها لتستمر فى العمل لتثبت جدارتها فى عمل مهين ليس له مقابل ، وأما الصراط الذى ألزموها بالمرور عليه وسقوطها إلى هوة سحيقة ، هو شروط العمل المجحفة والفشل الذى منيت به بعد مثابرتها واستمرارها لمدة عشرة أيام تمسكاً بالأمل (إعتقدتا أن الرواج سيتحسن فعلاً بمرور الأيام ، لكن لا شئ من ذلك قد تحقق) [١] وبذا كانت هوة سحيقة بلا قرار .

ومن هنا نرى أن الحلم تلخيص للرحلة فى حياة (أمل) الشخصية الرئيسة فى القصة ، ورمز لما جرى فيه تكثيف وإيحاء ، وهو منفصل عن تسلسل الحدث والبناء قبله وبذا كان توظيف الحلم شيئاً تجدر الإشارة إليه .

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) قصة : (حلم دائري) ص ٣٢ .

اللـــغة

اللغة فى مجموعة : (خيمة المحبة) كانت إيقاعية شاعرية حالمة فمثلاً فى قصة (الدائرة المضيئة) [١] كانت مقدمة القصة : (وفى العيون تنفس نسيم السحر ، وعلى الحياة تمايل ورد وزهر ، فى حين تودع الليل أضواء القمر) هذه اللغة يحرص كاتبها على الإيقاع الصوتي في فواصل الجمل ، وتتساوق ألفاظها مع حالة البهجة واعتدال المزاج ، وبهذا نرى إيحاءاً بموضوع القصة ، فى تضحية الفتاة من أجل أسرتها حتى عبرت بها بر الأمان ، وكان لهذا التصرف صدى الرضا فى نفس الكاتب فجاءت لغته معبرة عن ذلك ، مع أن الفتاة عانت وصبرت حتى كانت النتيجة نجاحها فى مشوار الحياة وكان يمكن أن يكون العنوان (الإيثار) أو (التضحية) أو ما شابه ذلك ، وإنما جاء العنوان ليوضح رضا الكاتب عن هذا المسلك، وعكست مقدمته انبهاره بتصرف الشخصية الرئيسة فى القصة .

واللغة لدى الكاتب فى معظم قصصه لغة متقافزة متواثبة تحمل إيقاعاً صوتياً يحرص الكاتب عليه حتى وإن كان جوهر القصة يدعو للأسى على مصير الشخصية المحورية مثل قصة : (السعادة عند الآخرين) [٢] حيث يقول الكاتب فى مقدمتها : (تأبط حلماً ومضى ، ساوم الأنواء والنجوم، مغامر مصارع للأشياء ، ركب فرساً أبلق ومضى ، حلقَّت به طائرة وأسرعت به سيارة عبر المحيطات والبحار والقارات ، فجأة توقف للنفس قليلاً) هذه الفقرة أراد الكاتب بها تصوير العمل بلا هوادة والمبالغة فى الجرى وراء الرزق ، واختار المغامرة

(١) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ١٥ .
(٢) السابق ص٢٩ .

والمصارعة ومساومة الأنواء، ومن أدوات التوصيل : الفرس والسيارة والطائرة . كل ذلك والشخصية تحمل أحلاماً وتمضى لتحقيقها فهى لغة يحرص الكاتب فيها على جمال الصياغة، لكنها لغة مباشرة ليس فيها التكثيف أو الإيحاء ، لأن الشخصية نتيجة للانكباب على العمل والمبالغة فى السعى للحصول على المال يصاب بالتوتر والقلق وفى النهاية المرض والعياذ بالله ....

ولكن فى قصة (نشيد السنابل) [١] يقول الكاتب (" جازان " يا حلم البحار المسافر .... يزرع الأمل شوقاً فى عيون السفينة يمتد ويمتد حلمه المنشود طويلاً خلف الخضرة والزرقة وأمواج البحر باحثاً عن اللؤلؤ والمحار٠٠ ليل نهار) .

نجد اللغة تدلل على الإشارة والتمهيد لحدث القصة الذى عكس عمل الصيادين فكان الإيقاع الصوتى مفيداً ومؤدياً إلى تهيئة ذهن القارئ لجو القصة وأحداثها .

ولاحظت فى لغة الكاتب أنه أحياناً يحذف بعض الكلمات ويكتفى بأحرف تشير إليها كما فى قصة : (لوحة الفرح) [٢] عندما يحكى عن ذكريات العيد حيث أكل الضيوف وكان الصبى يأمل فى عشاء دسم (قلت فى نفسى وأنا أمنى بوجبة عشاء دسمة .... لكنهم قد أخذوا قسطهم من العشاء ولم تبق إلا بقايا أقراص الذرة ..... ومرقة ورأس ديك و" ..... ") فهذا الحذف يوحى بأشياء أخرى على شاكلة ما ذكر ، وكذلك قصة : (وللفضيلة بعد آخر) [٣] يقول الكاتب : (الباب الخشبى يحدث صوتاً ..... طرقات خجلى٠٠ يا (....) إنه (....) يخرج العم

(١) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٤٦ .
(٢) السابق ص ٦٤ .
(٣) مجموعة : (خيمة المحبة) ص ٦٧ .

وترتسم فوق الشفاه ابتسامات محبوبة) فالكاتب لا يريد أن يصرح باسم شخص معين ليوحى بأن هذا تصرف مجتمعى يصدر من أى شخص فالترحاب بالقادم صفة عامة ولا تخص شخصاً بعينه يتحلى بها المجتمع فى جميع شخوصه ، وبهذا كان الحذف لدى الكاتب له دلالة فى الصياغة اللغوية .

وخلت المجموعة من الحوار المتبادل بين الشخصيات، وإذا استعرض الكاتب صور الحوار فتكون انعكاساً لنتيجته وليس لنمو الحدث من خلاله مثل ما جاء فى قصة : (الدائرة المضيئة) [١] عندما ينقل الكاتب عرض الزواج على البنت التى توفى والدها وهى أكبر إخوتها (وهى تهمس فى الأذن بخبر ابن العم زوجاً .... فازداد الموقف حدة وتوترا) ويكون رد الفعل (وفجأة تصرخ فى وجوه الحاضرات وفنجان تطايرت أجزاؤه) إننا ليس أمام تجاذب أطراف الحديث ولكننا نرى أثر ونتيجة كلام الأم فى الإخبار بابن العم عريساً ، ورأينا نتيجة الحوار ولم تتضح جودته أو إخفاقه مما يجعلنا نحكم بعدم وجود القصة الحوارية ، أو الحوار الذى ينمى الحدث ويلعب دوراً أساسياً فى البناء القصصى .

ولكن يحمد للكاتب استخدامه للغة العربية الفصحى وأنه لم يلجأ إلى العامية فهذه مزية تحسب له لأن (الأمر فى العامية أن نطاق الأداء بها محدود)[٢].

أما اللغة فى مجموعة : (تحديق فى الفراغ) المغربية فقد كانت هادئة معبرة ملمة تعكس جزئيات الصورة بشكل تام وتتواصل مع تحرك الحدث فى شكل

(١) السابق ص ١٥ .
(٢) أحمد إبراهيم الهوارى (دكتور) فى : (مصادر نقد الرواية فى الأدب العربى الحديث) ط عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية طبعة أولى سنة ٢٠٠٨ ص٦٥ .

معبر عن رؤية الكاتب فنراها فى بداية قصة : (علال يحلم)[١] (نظر علال إلى زوجته وولديه أحمد وهشام ، وهم جميعاً حول مائدة العشاء مساء يوم الأحد الذى يوافق انعقاد السوق الأسبوعى فى القرية، فاعترته عاطفة أبويه جياشة ، وسرت فيه قشعريرة هزت كيانه . فكان كلما رفع لقمة إلى فيه استرق النظر إلى ولديه . ولاحظت "صفية" أن زوجها يود أن يقول شيئا محتبساً فى صدره) .

هذه الفقرة توضح لغة الكاتب فهى من ناحية البناء متماسكه ليس بها فجوات ، تدع فى ذهن القارئ بداية تمهد لحدث القصة فى أحلام وآمال (علال) التى تحثه عليها أسرته : أولاده وزوجه ، والطعام ، والقلق يوحيان بمسئولية الأب، فاختيار الكلمات جاء مناسباً فيما ساقه الكاتب، واللغة سليمة ، وترتفع عن اللغة الدارجة فى المجتمع ونلمح ذلك فى كلمات : (اعترته ، جياشة ، وسرت ، كلما رفع لقمة إلى فيه، استرق النظر) هذه لغة جيدة تعيد المجتمع إلى نصاعة العربية وسلامتها. واللغة أدت دورها كاملاً فى الدلالة والوضوح ببداية حدث القصة والدفع به إلى التنامى وهذا أبلغ رد على من يتهمون العربية بالتقصير فى القص ويدعون إلى استخدام العامية ، فبدلاً من ادعاء عجز الفصحى (علينا أن ندعو إلى تذوق أدبها ، والتشبع بثقافتها والاطلاع على العبارات الحية التى تقرب من لغة الكلام العادى ، قصداً إلى الرقى بالذوق الفنى) [٢] .

ويعزز المثال الأول ما جاء فى قصة : (العودة) [٣] عندما أشعلت زوجة " سمير " البلغارية " تاتيانا " سيجارة وتحلق حولها جماعة من الناس (فانتبهت مذعورة واستدارت نحو النادل دون أن تنبس ببنت شفة، لكنها كانت فى أعماقها

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٣٩ .
(٢) محمد غنيمى هلال (دكتور) فى : (فى النقد المسرحى) ط دار العودة بيروت ١٩٧٥م ص٨٠ .
(٣) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٥٣ .

تستصرخه . ولم يدخر جهداً فى طردهم، كانوا بضعة قرويين ، أوقفهم الفضول) اللغة عبرت عن الموقف جيداً واتسمت بالفصحى بمفرداتها وتركيب جملها (فانتبهت مذعورة ، واستدارت نحو النادل، دون أن تنبس ببنت شفة ، تستصرخه) فهذه اللغة بهذه الصحة والفصاحة تدلل على مقدرة الكاتب وتمكنه من أدوات الكتابة .

والكاتب له لفتات لغوية جميلة مثل ما جاء فى قصة (الحقيبة) [١] فبعد أن علم أحمد من صديقه مصطفى بأنه حاصل على الدكتوراه وبدون عمل يقول الكاتب ليصور ما بداخل أحمد (أشعل مصطفى سيجارة أخرى، أما أحمد فأشعل نيران التساؤل فى مجموعة من أفكاره) .

وكذلك قوله فى قصة (تحديق فى الفراغ) [٢] بعد أن قارن بين قطط الأغنياء والقطط المشردة فى الشوارع : (ولم يعد لدى شك أن حال مثل هذه الحيوانات المسكينة أيضاً قسمة ونصيب فمنها ذوات الحظ الوافر، ومنها ذوات الحظ العاثر) فهذه المقابلة توحى بالتمكن من اللغة وأدواتها.

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ ص ٦٣ .
(٢) السابق ص٨٣ .

الحـــوار

حفلت القصة المغربية بالحوار وجاء بكثرة فى قصص مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ومن نماذجه فى قصة (فى الطريق) [١] الحوار الذى دار بين (السى عبد الرازق) و (الفتاة) التى قابلها أثناء سيره بسيارته فـــى الطريـــق بعـــدما أشارت له ورجته أن يأخذها معه إذا وافق طريقه طريقا.

(ـــــ أين كنت

ـــــ عند الدكتور .

ـــــ مريضة ، وبدون مرافق ؟

ـــــ لست مريضة ، ولكن أشتغل فى بيته ، أساعد "للاسمية"[٢] .

ـــــ وماذا حصل حتى تخرجى للسفر فى هذا الوقت ؟

ـــ خفت منها . قالت : إنها ستذبحنى إذا احترق الطاجن، وقد انشغلت فنســـيت ، واحترق فعلاً ، لقد خفت يا سيدى ، خفت أكثر من أى وقت مضـــى إنهـــا إذا عثرت على ....

ـــــ عمن تتحدثين ؟

ـــــ عن اللاسمية ، مولاة الدار

ـــــ وأين ذهبت هى ؟

ـــــ إلى صالون الحلاقة .

ـــــ وكنت وحدك فى الدار ؟

ـــــ سعد أيضاً كان موجوداً .

ـــــ ومن سعد هذا

---

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص١٧ .
(٢) (للا) لقب للتكريم للسيدات عند أهل المغرب .

ـــــ ابنها وهو أيضاً ينهرنى ويضربنى

ـــــ دعى الضرب جانباً . هل رآك تخرجين ؟

ـــ لا أظن كان فى غرفته رفقة فتاة تعود أن يصطحبها معه كلما أيقن أن أمه ستتأخر فى الرجوع إلى البيت)[١] .

هذا القدر من الحوار يوضح أسلوب الكاتب واستخدامه للحوار فى تنمية الحدث ، حيث كشف عن الفتاة وعملها ومعاناتها فى الخدمة فى المنازل وما تلاقيه من مهانة لدى أصحاب الدار .

والمقارنة بين أبناء مخدوميها وبينها .

كل ذلك دفع بالحدث إلى الأمام ، ووضح خلفية الصورة التى بنى عليها الكاتب فكرته فى إظهار صورة الفقر فى المجتمع، واللغة فى الحوار سليمة وأديرت بحنكة قصصية صورت الواقع وكانت مقنعة فى إمكانية حدوث هذا فى واقع المجتمع . ومع أن الفتاة من أهل البادية (قالت البنت وهى تتلعثم بلكنة أهل البادية) إلا أن الكاتب أمد قارئه بحوار فصيح ارتفع كثيراً عما يدور على ألسنة الناس فكانت القصة بحق أدب راق . واستوفى الحوار جوانب الصورة برفق فى تؤدة ولم يهمل جانباً يحتاج القارئ إلى الاستفسار عنه .

ويمكن أن نرى أنموذجاً آخر للحوار فى قصة : (الحقيبة)[٢] فقد دار حوار بين (أحمد) الشخصية الرئيسة فى القصة و (مصطفى) الذى قابله فى الكلية ليتسلم شهادة الدكتوراه (ـــ يبدو أنك مثلى جئت تسحب شهادة التسجيل[٣] .

ـــــ لا يا حبيبى ، إنما لأسحب شهادة الدكتوراه .

ـــــ الدكتوراه ؟!

---

(١) (للا) لفظ تكريم للسيدات فى لغة أهل المغرب .

(٢) قصة : (فى الطريق) من مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص١٩، ٢٠ .

(٣) تماثل فى مصر الدراسات العليا التى تمهد لتسجيل الماجستير .

ـــــ نعم الدكتوراه .

ـــــ أى تخصص ؟

ـــــ علم الاجتماع .

ـــــ وفى أية جامعة تدرس يا أستاذ ؟

ـــــ أنا عاطل يا حبيبى ، مثل العشرات أمثالى) [١] .

فالحوار هنا قد سار سيراً طبيعياً، ومن خلال تناقل الكلام كشف الكاتب عن مراده ، (فأحمد) جاء ليسحب (شهادة التسجيل) فظن (مصطفى) مثله . ولكن رد صاحبه أوضح حصوله على الدكتوراه ، وكانت الدهشة التى توضح قيمة هذه الشهادة فى ذهن أحمد (الدكتوراه ؟ !) .

وجاء الاستفسار عن مردود هذه الشهادة فى الواقع العملى (وفى أية جامعة تدرس يا أستاذ ؟) لتكون المفاجأة التى تبرز البطالة بعنف (أنا عاطل يا حبيبى) وليت هو وحده لكن (مثل العشرات أمثالى) .

ثم يدور الحوار ليدلل على أن البطالة تطارد كل التخصصات وليس علم الاجتماع فقط (واضح أن الأدب هو تخصصك .

ـــــ صحيح أجاب أحمد .

ـــــ الأمر سيان يا حبيبى) [٢].

فالحوار متماسك وتنتقل من خلاله الفكرة شيئاً فشيئاً نحو الاكتمال، واللغة منتقاة فألفاظها دالة تماماً على ما ساقه الكاتب من أفكار وارتفعت فى أسلوب راق دون تقعر أو إسفاف فارتفعت عن اللهجة المبتذلة فى العامية، وبذا أدار الحوار بنجاح واختار له اللغة المناسبة.

---

(١) مجموعة : (تحديق فى الفراغ) ص ٦٥ ، ٦٦ .
(٢) السابق ص ٦٦ .

الخـــاتمة

وفى نهاية البحث أوضح أهم معالمه ونتائجه :

(١) اتضح لى أن الكاتبين تشابها فقد عمل كل منهما بالتعليم واشـــتغل بالثقافـــة والأدب .

(٢) تمثلت نظرة كاتب (خمية المحبة) السعودية فى الاهتمام بالأسرة فقد تناول موضوعات جمة حولها أظهرت حسه القصصى ومعايشته للواقع السعودى .

(٣) اتضح لى أن الكاتب السعودى حرص على تصوير الأعمال المختلفة للموظف والفلاح ، والصياد ، واستعرض العادات والتقاليد لمجتمعه .

(٤) لاحظت أن كاتب مجموعة : (تحديق فى الفراغ) تناول ملامـــح المجتمـــع وصور قضاياه من الفقر والبطالة والسفر إلى أوربا والعادات والتقاليد وغير ذلك .

(٥) ظهر لى من خلال الموازنة الموضوعية أن كل كاتب انشغل بقضايا مجتمعه فاختلفت ملامح المجتمع عند كل منهما . فكانت فى المجتمع السعودى تتخذ مساراً تنويرياً وتشير إلى الرضا والتوافق، أما فى المجتمع المغربى فكانـــت ناقدة تتبع سلبيات المجتمع وتسلط الضوء عليها .

(٦) اتضح لى من خلال الموازنة الفنية ، أن الكاتبين اشتركا فى ســـمة البنـــاء المتصاعد ، وتفردت القصة السعودية بالقصة المجزأة والتى جـــاءت تحـــت عنوان واحد اندرج تحته عناوين أخرى فرعية ، وتفردت القصة المغربيـــة بالقصة فى رسائل ، واتحدا فى القصة المقسمة زمانياً .

(٧) حفلت القصة المغربية بتوظيف الحلم ، بينما جاء ذلك بصورة باهتـــة فـــى القصة السعودية .

(٨) حفلت القصة المغربية بخاصية (الاسترجاع) فى بناء الحدث بينما خلت القصة السعودية من ذلك تماماً .

(٩) تبين لى أن الكاتبين اهتما بالعناوين من الناحية الفنية ، وإن كانت أكثر دقة ودلالة إيحائية فى القصة المغربية .

(١٠)جاءت الخاتمة فى القصة السعودية تعبر عن الرضا والوئام ، بينما كانت فى القصة المغربية نهاية مفتوحة فى أغلب الأحيان تدعو للتساؤل .

(١١)اللغة كانت فى القصة السعودية ، شاعرية يحرص كاتبها على الإيقاع الصوتى ، متواثبة تختار ملامح من الحدث لتصل إلى بناء الفكرة ، أما فى القصة المغربية فكانت هادئة متزنة تحرص على الوقوف أمام دقائق الحدث لتجعل القارئ قريباً منه ، ومع ذلك امتاز الكاتبان باستخدام الفصحى وهذا يحمد لهما .

وبهذا الجهد المتواضع ، أطمع فى أن أضيف جديداً إلى المكتبة العربية .

هذا وبالله التوفيق

الباحث

ثبت بأهم المصادر والمراجع

- أحمد إبراهيم الهوارى (دكتور) فى : (مصادر نقد الرواية فى الأدب العربى الحديث) ط عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٨ م .
- أحمد محمد الحوفى (دكتور) فى : (أضواء على الأدب الحديث) ط دار المعارف بمصر ، طبعة أولى سنة ١٩٨١م .
- أحمد المدينى فى : (رؤيا السيد سين) مجموعة للقصة القصيرة، ط دار النشر المغربية ، طبعة أولى سنة ١٩٩٦م .
- جلال العشرى فى : (ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١م .
- جيرالد برنس فى : (قاموس السرديات) تعريب السيد إمام ، ط ميرت للنشر والمعلومات القاهرة طبعة أولى سنة ٢٠٠٣م .
- حميد لحمدانى : (دكتور) فى : (بنية النص السردى ــ من منظور النقد الأدبى) ط المركز الثقافى العربى للطباعة والنشر ، بيروت طبعة أولى سنة ١٩٩١م .
- روبرت همفرى فى : (تيار الوعى فى الرواية الحديثة) تعريب محمود الربيعى (دكتور) ط دار المعارف بمصر طبعة ثانية سنة ١٩٧٥م .
- السعيد الورقى (دكتور) فى : (اتجاهات القصة القصيرة فى الأدب العربى فى مصر) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة أولى سنة ١٩٧٩م .
- سيد حامد النساج (دكتور) فى : (تطور فن القصة القصيرة فى مصر) ط دار المعارف بمصر طبعة ثالثة سنة ١٩٨٤م .
- سيزا قاسم (دكتورة) فى : (بناء الرواية) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

سنة ١٩٧٨م .

- شاكر عبد الحميد (دكتور) فى : (الأسس النفسية للإبداع) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢م .
- صابر عبد الدايم يونس (دكتور) فى : (شعراء وتجارب ــ نحو منهج تكاملى فى النقد التطبيقى) ط دار الوفاء لدنيا الطباعة سنة ٢٠٠٠م .
- ضياء لفته (دكتور) ، وعواد لفته (دكتور) فى : (سردية النص الأدبى) ط دار الحامد للنشر والتوزيع عمان بالأردن طبعة أولى سنة ٢٠١١م .
- طه محمود طه (دكتور) فى : (القصة فى الأدب الإنجليزى "من بيولوف" حتى " فينسيجانزويك ") ط الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٥م .
- طه ندا (دكتور) فى : (الأدب المقارن) ط دار المعارف سنة ١٩٧٩م .
- عبد الحليم بلبلع (دكتور) فى (بين الأدب والنقد) مجموعة مقالات وبحوث جمعها وحررها وقدم لها : مهدى علام (دكتور) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م .
- عبد اللاه محمود حسن (دكتور) فى : (الشجر لا يزرع من أوراقه ــ تعليق على مشروع الحداثة فى الأدب) ط مطبعة الوفاق الحديثة بأسيوط سنة ٢٠٠٢م .
- عبد المحسن طه بدر (دكتور) فى : (الروائى والأرض) ط دار المعارف بمصر طبعة ثانية سنة ١٩٧٩م .
- وفى : (حول الأديب والواقع) ط دار المعارف بمصر ط ثانية سنة ١٩٨٠م .
- على أدهم فى : (فصول فى الأدب والنقد والتاريخ) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩م .
- على شلش (دكتور) فى : (نشأة النقد الروائى فى الأدب العربى الحديث) ط مكتبة غريب بالقاهرة سنة ١٩٩٢م .

- فتحى الإبيارى فى : (عالم تيمور القصصى) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م .
- فتحى سلامة فى : (تطور الفكر الاجتماعى فى الرواية العربية) طبعة دار الفكر العربى ، طبعة أولى سنة ١٩٨٠م .
- لطيف زيتونى فى : (معجم مصطلحات نقد الرواية) ط دار النهار للنشر بيروت ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٢م .
- محمد عبد الحليم عبد الله فى : (الوجه الآخر) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م .
- محمد عبد المطلب (دكتور) فى : (بلاغة السرد) ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة (كتابات نقدية) شهرية عدد رقم ١١٤ فى سبتمبر سنة ٢٠٠١م .
- محمد عزام فى : (شعرية الخطاب السردى) ط اتحاد الكتاب بالأردن ، طبعة أولى سنة ٢٠١١م .
- محمد غنيمى هلال فى : (النقد الأدبى الحديث) ط دار الثقافة، بيروت سنة ١٩٧٣م .
- وفى : (النقد المسرحى) ط دار العودة بيروت سنة ١٩٧٥م .
- وفى : (النقد التطبيقى والموازنات) ط دار نهضة مصر (د٠ت) .
- محمد فتوح أحمد (دكتور) فى : (الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر) طبعة دار المعارف بمصر ، طبعة ثانية سنة ١٩٧٨م٠
- محمد منصور ربيع المدخلى فى : (خيمة المحبة) مجموعة للقصة القصيرة ، طبعة دار العلم بجدة المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٧هـ .
- محمدين محمدين يوسف فى : (قراءة نقدية تحليلية لنماذج من القصة السعودية فى جازان) ط دار العلم للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية

سنة١٣٩٥هـ .

- مهدى لعرج فى: (تحديق فى الفراغ) مجموعة للقصة القصيرة ، ط دار القرويين بالمغرب ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٦م .

دوريات

- صحيفة " المدينة " سعودية ، فى الأربعاء ١٤ من رجب ١٤٠٨هـ .
- صحيفة " الندوة " سعودية ، فى الأحد ٢ من ربيع الأول ١٤١٠هـ .

مواقع إلكترونية

- القصة السورية – جوجل .
- ويكيبيديا – الموسوعة الحرة .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	٢٦٨٥
أولاً : صورة المجتمع فى القصة القصيرة السعودية	٢٦٨٩
١ ــ الأسرة	٢٦٨٩
٢ ــ الموظف	٢٧٠٠
٣ ــ مجتمع القرية	٢٧٠٣
٤ ــ البحار والصيد	٢٧٠٦
٥ ــ الانشغال الزائد بالعمل	٢٧٠٧
٦ ــ العادات والتقاليد	٢٧٠٨
ثانياً : صورة المجتمع فى القصة القصيرة المغربية	٢٧١١
١ ــ البطالة	٢٧١١
٢ ــ الفقر	٢٧٢٢
٣ ــ السفر إلى أوربا	٢٧٣١
٤ ــ الزواج من الأجنبيات	٢٧٣٨
٥ ــ العادات والتقاليد	٢٧٣٩
ثالثاً : الموازنة	٢٧٤٣
أولاً : الموازنة الموضوعية	٢٧٤٣
ثانياً : الموازنة الفنية	٢٧٤٨
البناء القصصى	٢٧٤٨
١ ــ البناء المتصاعد	٢٧٤٩
أ ــ القصة المجزأة	٢٧٥٤

الموضوع	رقم الصفحة
ب ــ التوليف (المونتاج)	٢٧٥٩
ج ــ الاسترجاع	٢٧٦١
٢ ــ دلالة العناوين	٢٧٦٤
٣ ــ نهايات القصص	٢٧٦٧
٤ ــ توظيف الحلم	٢٧٦٩
٥ ــ اللغة	٢٧٧٤
٦ ــ الحوار	٢٧٧٩
الخاتمة	٢٧٨٢
ثبت بأهم المصادر والمراجع	٢٧٨٤
فهرس الموضوعات	٢٧٨٨